20 me. année No 971

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le Caire 11-2- 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧١ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ١١ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

بين سبت وسبت

قال بعضنا لبعض بعد يوم السبت الذى خرّب العامر وقوض السامر وأطفأ المضئ : ليس لنا من سبيل إلا أن نلوذ بالريف ريثما تعيد الوزارة الجديدة الأمن إلى النفوس والأنس إلى العاصمة

وفى صباح يوم السبت الذى وليه كنا فى الطريق إلى القرية ؛ وكان الجو سافرا والنسيم فاترا والحقول بهيجة ؛ ولكننا لم نكد نقطع بعض الطريق حتى برد الهواء وأضببت السماء وانهمل المطر . وظل انهمال المطر أربع ساعات متواليات تركت بعدها الطريق ترعة متصلة الماء بالسماء تجرى فيها السيارة كما يجرى الزورق البخارى فى النهر . ثم كانت عاقبة هذا الغيث المتون أن تخلص الجو من الغبار ، وتطهر الشجر من الأقذار ، وتألقت القرى والحقول بالجمال والنضرة . فقلنا : يا لله ! ما أبعد الفرق بين سبت وسبت ! ذلك سبت كان فيه النار والدمار واليأس نهاية مرحلة ، وهذا سبت كان فيه الماء والنماء والأمل بداية مرحلة !

ودخلنا القرية والتأم شمل الأهل وانتظم عقد المجلس ، وأقبل شيوخ الفلاحين ممن يقرأون الصحف أو يسمعون الإذاعة يتناقلون أحاديث القنال وأحداث القاهرة وتغيير الوزارة . وقد لاحظت من مناقلة الرأى أن القرويين لم يعودوا يزنون أعمال الحاكمين بميزان المواد الخسيسة كتخفيض (المال) وإسقاط (الخفر) ورفع (السخرة) ؛ وإنما أصبحوا يزنونها بميزان المعانى الكريمة كالدراية الواسعة ، والكفاية الممتازة ، والسياسة الرشيدة ، والإرادة القوية ، والإدارة النزيهة ، والغاية الشريفة . وهذا الفضل كله إنما كانوا يفتقدونه فى وزيرين اثنين كانت صلتهما بالجمهور صلة معنوية تتمثل فى تعليم الشعب واستقلال الوطن ، هما طه حسين وصلاح الدين ! فإذا أسف الناس على أحد من أعضاء الوزارة المقالة من الحكم فإنما يأسفون على هذين الرجلين اللذين سموا بالمنصب على الشهوات ، وربأ بالحكم عن الشبهات ، وكانا للأمة بين ذوى الآراء المرتجلة والأهواء العابثة ، العوض من الخسارة والعزاء عن المصيبة . فلو أنهما خرجا على نظام الحزبية ودخلا فى الوزارة الماهرية لكانت الوزارة الجديدة فوزا كاملا وفرحة خالصة

أما رأيهم فى على ماهر فهو رأى الغريق فى منطقة النجاة ! لم يعرفوا عنه إلا أنه عدو الإنجليز وعدو الفوضى وعدو المحاباة وعدو الروتين وعدو التلكؤ ، فهو رجل الساعة وبطل الموقف . هو رجل الساعة لأن الحرج الخارجى الذى دُفعنا إليه يحتاج إلى حزمه . وهو بطل الموقف لأن الحرج الداخلى الذى وقعنا فيه يفتقر إلى عزمه . وهو فوق أولئك كله صديق العامل وصديق الصانع وصديق الفلاح وصديق الفقير ورئيس (جبهة مصر)

ذلك مجمل الرأى القروى فى سياسة الوقت وساسته ؛ وهو رأيى ، ولعله رأى جميع الناس

ريف المنصورة

احمد حسن الزيات

اللغة الأنجليزية في مصر

للأستاذ محمد محمود زيتون

اللغة الإنجليزية في مصر — أو على حد تعبير وزارة المعارف — « اللغة الأوربية الأولى » — قد أصبحت غير ذات موضوع لأنها استنفدت جميع أغراضها ، وفقدت صلاحيتها ، فلا مناص من إلغائها ، لأنها أول معقل للاستعمار في بلادنا سبق إلى الانهيار

وإذا كانت الظروف اليوم قد أتاحت لقادة الرأى في مصر أن تعمل جاهدة على المطالبة بالغاء وتحرير العقلية المصرية منها على أثر إلغاء معاهدة الذل والاحتلال ، واتفاقيتى القهر والاستعمار ، فإن لصاحب هذا القلم شرف السبق إلى الكتابة في هذا الموضوع في وقت كان الجهر فيه بهذا يعد ضربا من المجازفة

وكان ذلك في ٣ يوليو سنة ١٩٤٨ يوم كانت جريدة « الإخوان المسلمون » اليومية ترفع لواء الحرية ، في هذا المعترك الصاخب من الأفكار ، قلت يومئذ بالحرف الواحد :

« إن هذه اللغة قد دخلت مصر وستخرج منها وكأن لم تكن ، لأنها لم تهدف إلى التثقيف وتبادل روائع الأفكار وبدائع العرفان وإنما كان هدفها الحقيقي هو إشاعة الذعر والخوف والفزع والهلع والذل والانكسار إلى غير ذلك من مترادفات « تحطيم الأعصاب » في بلد لا يزال بخير وعافية كمصر

ونظرا لما حق لدينا من دراسة العلوم الاجتماعية ومن بينها « علم اللغة » وما لكل من تطورات وانحرافات ولهجات تبنت قوانينها الصارمة ، فإننا بالقياس إلى هذه القوانين نرى أن اللغة الإنجليزية قد أريد بها أن تشذ شذوذ أهلها عن قوانين اللغة فلبست مسوح العلماء ، وقفافيز الساسة ، « إمعانا في إحكام القيود والأغلال على الشعوب المستضعفة جميعا وفي آن واحد ، وتسويدا للهمجية في بعضها على المدنية في البعض الآخر ، فقد ظلت هذه اللغة تدرس في مصر أكثر من نصف قرن منذ بدء الاحتلال وكانت لغة التدريس في جميع المواد ماعدا اللغة العربية وما يتصل بها . »

ولقد فطنت الجمعية العمومية إلى أساليب الاستعمار الإنجليزى منذ فجر الحركة القومية ، فطالبت الحكومة في مارس سنة ١٩٠٧ بجعل التعليم في المدارس بالعربية ، وعلى ذلك الرأى اجتمعت الأمة الناهضة ؛ ولكن مما يؤسف له أن قام أحد أذناب الاستعمار فقال فيما قال :

« إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعا لشهوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة .. » (١)

واستطرد يقول — وهو سامحه الله ممن وكل إليه زعامة هذه الأمة — « وإذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلا فإننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا في الجمارك والبوسطة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة »

على أن الأمة الممثلة يومئذ في الجمعية العمومية قد خذلت هذا الاعتراض بإجماع رائع هز أركان التاريخ وتبوأ مكانة من الحركة القومية

وعلى الرغم من هذا فإن هذه اللغة الاستعمارية قد مضت في طريقها في غفلة من سدنة القومية فاعتبروها « اللغة الأجنبية الأساسية » حتى كانت سنة ١٩٣٥ حيث ابتدع « ميخائيل وست » طريقته الأمريكية اليهودية التي بها وحد النطق على أسس خاصة . وذلك لتتحقق المساواة في الاستعمار والاستذلال والاستغلال ولتكون العدالة شاملة في الظلم عملا بالقاعدة المشهورة « إذا عم الظلم كان عدلا »

وما لبث الإنجليز — بفضل هذه البدعة الأمريكية — أن قذفوا بملايين الكتب المدرسية الإنجليزية إلى مصر والسودان وفلسطين والحبشة وجنوب أفريقية وأوغندة وكنيا وأستراليا والهند، وبذلك ألغيت كل الحواجز الجمركية أمام هذه البضاعة الإنجليزية الموحدة في هذه الأقطار ، فإذا نحن منذ ذلك التاريخ أمام تيار جارف من خرافات وأساطير وخزعبلات فرضوا علينا

(١) من عبد الرحمن الرافعي بك في كتابه « مصطفى كامل »

أن تحشرها حشرا فى أدمغة الناشئين الأبرياء

يسأل التلميذ أستاذه : هل من المعقول أن (جاك) إذا قتل الدب وأخذ قلبه ورمى به فى النار تخرج حبيبته منها ! .. وهل صحيح أن (كاليبان) و (آريل) عفريتان من عفاريت (الجزيرة المسحورة) كما جاء فى رواية (العاصفة) التى دبجتها براعة (شكسبير) ؟ ..

يابنى .. هذا كلام إنجليز ؛ وليس عليك إلا أن تتعلم اللغة ودعك من خرافاتهم . وهنا يريد المدرس الفيلسوف أن يشرح لتلميذ السنة الأولى « فلسفة التناسخ والحلول » الشائعة فى عقائد البرهمانيين والبوذيين . ولكن كيف يستطيع مدرس أن يشرح هذا اللغز الغامض لذلك الناشئ البرئ ! .. وهنا يمضى كلاهما على حسرة ملحة ، وألم صارخ ، والأمر بينهما لله وحده

وهكذا أراد الإنجليز أن يغلفوا قلوبنا بطبقة من القطران الأسود المصنوع من خرافات الهمجية الأولى ، وبذلك تموت الروح الدينية وعقيدة التوحيد فى جوانح أبناء الأمة فيشب الواحد منهم كافرا بالله والرسل والأنبياء والملائكة واليوم الآخر ، كافرا بالمروءات والمثل العليا ومكارم الأخلاق متأثرا بدروس الكفر البواح التى يتلقاها فى مدارس الدولة

وليت هذا الناشئ المسكين يتعلم هذا الكفر فى كتاب واحد أو اثنين ، ولكن الدولة القيمة على العقل والروح والبدن تأبى إلا أن تغمر تلميذ السنة الأولى الإبتدائية بفيض من الكتب الأنجليزية بعضها رئيسى والبعض الآخر إضافى

وأذكر أن الوزارة كانت توزع على تلاميذ السنة الثانية سبعة كتب إنجليزية منها ثلاثة للعمل بها فى المدرسة ، والباقى للاطلاع الخارجى بالمنزل ، ويعلم الله أن هذا الاطلاع المزعوم ماكان له من وجود إلا فى خيال « ميخائيل وست » ومن يدورون فى فلكه من صنائع الاستعمار الثقافى

والنتيجة الطبيعية أن التلميذ لم يفتح كتب (العفاريت) إلى آخر العام حتى إذا بدأت العطلة صفى حسابه مع هذه الكتب وباعها مقابل عدة أقراص من النعناع والحلوى . وأما الدولة فهى التى دفعت لتجار الكفر وسماسرة الاستعمار دماء الفلاحين ثمنا لبضاعة كلها غش وزيف

وأساليب الاستعمار — على العهد — بها أعقد من حيل الثعالب وأضيق من شراك الصيد على فريستها ، فهى تصيد العقول والقلوب ، وتمتص الدماء وتستنزف الأموال ، وتقتل الأرواح وتشل النشاط وتخدر الأعصاب ، وتستأصل الحمية من الأنوف إلى غير ذلك من ضروب النصب والاحتيال

وليس أدل على ذلك من طريقة الامتحانات المتبعة فى مراحل التعليم : فى المرحلة الابتدائية يسهل على التلميذ اجتياز الامتحان لأن طرق وضع الأسئلة مرسومة محدودة ، ويكفى أن يحفظ التلميذ مفرداته المقررة عليه ، وأن يعرف كلمات الاستفهام وقواعد الزمن ليكون من الناجحين

وهذا التسهيل المفتعل ليس إلا خطة موضوعة تتبعها فى المرحلة الثانوية أسلاك شائكة وألغام فاتكة : ففى بدئها يرغم التلميذ على كتابة موضوعات إنشائية — ولم يتعلم قبلا تكوين جملة — ويرغم أيضا على الإجابة على أسئلة الأجرومية المعقدة — وكان محظورا عليه أن يعلم شيئا مطلقا من المصطلحات . فهو يتجرعها فى مدى أشهر . معدودات وتكثر ضحايا الامتحان فى بداية هذه المعركة ، وتعود أساليب الاستعمار إلى قواعدها سالمة حسب الخطة المرسومة

وإذا جاز هذه المرحلة والتحق بالجامعة ، فإن صدمة عنيفة تجبهه عندما يحاول متابعة أستاذه فى شرحه بهذه اللغة فيسقط فى يده ولا يجد ما يستعين به على الدراسة التى تخصص لها إلا بعد مشقة وعناء

مراحل كلها صخور وأشواك ملقاة فى الطريق وعلى الجانبين لتوهم الناشئ بالضعف والغباء ، وتقذف فى نفسه الرعب والقلق والانكسار فتتحطم أعصابه ، ويتبلد ذهنه

وتعمد الوزارة كل سنة إلى تغيير الكتب الانجليزية التى تدرس فيها طلبة الثقافة والتوجيهية . فما الحكمة من ذلك ؟ اللهم إنه ابتزاز أموال الدولة سنويا باسم العلم . وإلا فأى ضرر عقلى أو تربوى إذا استمر تدريس كتاب واحد بعينه لمدة سنوات ؟ وهل كتب المطالعة العربية المقررة أساءت إلى عقلية

التلميذ لمجرد استمرار تدريسها لسنوات عديدة ؟

أراد المستعمرون أن يؤخروا مصر إلى عصر ما قبل التاريخ حيث الهمجية الروحية والفكرية ، وهذا هو الوضع الذى جاز على مصر ولم تتنبه إلى خطورته ، ولولا بقية من إيمان ، وشماع من عقل « لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا »

وفى إبان الحرب الماضية كان الأساتذة الانجليز أنفسهم رسل دعاية للاستعمار فى مصر ، فهذا مستر سكيف رئيس قسم الأدب الانجليزى يبشر تلامذته من طلبة الآداب بأحسن وأروع ما كتب فى هذا الأدب قديمه وحديثه ، ذلك هو « خطاب من طيار لأمه » وقد تطوع بترجمته إلى العربية سعادة هيكل باشا ونشره الاتحاد الانجليزى المصرى

وكان مقررا على طلبة التوجيهية منذ سنوات مقالات عن « مشروع بيفردج » و « والتأمين الاجتماعى » و « الخدمات العامة » ولم يتكفل أحد من قادة الفكر وسادة الرأى عناء الاطلاع على ما يدرس للشباب وتبيان مدى ما ترمى إليه هذه الأفكار الوافدة ، ولم يمن أحدهم يوما بنقد ما يراد منه فتنتنا عما لدينا من تراث اجتماعى نستطيع به أن نجابه هذه الأفكار السطحية وندفعها بالحق . وهل الزكاة التى افترضها الإسلام عاجزة — إذا أحسن أداؤها — عن تعديل الأوضاع الاقتصادية وكفالة الأمن والسلام

وليس غلوا منا إذ نقول إن اللغة الإنجليزية وآدابها لا تصلح لأن نكون عاملا من عوامل التثقيف أو التهذيب فى مصر لأنها تقوم على مبادئ هدامة نذكر منها : فرق تسد — تمسكت فتمكنت — المصلحة أولا — اعمل بما أقول لا كما أفعل — حتى أنت يابروتس —

كل ذلك وما إليه إنما ينطوى على الدس والخبث والنفاق والمادية والأنانية والاولبية الأفعوانية ، وقد سبق لى أن قلت فى مقال « عصابة روتشيلد » (٢) بأن الانجليز هم الورثة الذين تبنوا اليهودية التى فككت أوصال أوربا فى القرن الثامن عشر كما سبق أن قلت إن هذه اليهودية تتمثل فى النزعة المادية وهى خاصية من خصائص لغة الانجليز كما وضحنا ذلك فى مقالنا عن « اللغة والفكر (٣) » حيث يقول الانجليز : pay attention أى ادفع انتباها ويقولون pay a visit أى ادفع زيارة ، كأن الانتباه والزيارة نقود تدفع

ولو قدر لهذه اللغة البقاء فى بلادنا أكثر من ذلك بهذا الوضع وبتلك المكانة فإنها تسيء إلى نفسها أكثر مما تحسن إليها ، لأنها لغة أشاعت الذعر فى النفوس ، وسدت مسالك التفكير ، وضيقت من آفاق المقيدة ، وزعزعت من أركان الآداب السامية والأخلاق الفاضلة ، واستعبدت المدرسين حتى صاروا كالآلات الصماء حتى لقد استعاضت عنهم بالفونوغراف

وليس أمامنا الآن إلا خطوة عملية واحدة لرد اعتبارنا وحفظ كرامتنا كأمة ذات سيادة ، وهذه الخطوة هى ألا نجمل لهذه اللغة فى بلادنا أكثر من الوضع الذى صارت إليه بلادها ، فقد أصبحت انجلترا أفقر الدول بعد أن كانت أغناها ، وأصبحت ذيلا بعد رأس ، وصار لها فى بلادنا « سفير » بعد أن كان لها « مندوب سام » وأصبحت فى نظر العالم كله وباء ، وبلاء ، فلا أقل من أن تكون لغتها فى بلادنا كذلك شر بلاء وأخبث وباء

ومن العار أن يكون عدد حصص هذه اللغة أكثر من عدد حصص اللغة القومية . ومن العار أيضا أن نطالب بجلاء الجيوش الاستعمارية بينما أكبر أصنام الاستعمار فى مصر لا يزال حيا بعبد . ومن العار أن يتعطش شبابنا إلى معرفة مواطن البطولة فى تاريخنا المجيد ، فلا يجدون ما يروى غليلهم بينما نجرعهم غصص لغة لا يستسيغون لها طعما ولا لونا ولا رائحة

ومن موجبات حمد الله وشكره أن هذه اللغة لم تتمكن من جوهر حياتنا ولم تنجح فى أن تكون لغة تخاطب ولا لغة كتابة ... (٤)»

هذا ما قلناه بالحرف الواحد منذ شرعنا هذا القلم لهدم هذا الصنم الثليط ، ولعل الحكومة المجاهدة تستطيع اليوم أن ترفع

(٢) الرسالة فى ٢٧ نوفبر سنة ١٦٥٠

(٣) الرسالة فى ٥ زائد ١٢ يونية سنة ١٩٥٠

(٤) الإخوان المسلمون : التاريخ المذكور

معولها وتهوى به دفعة واحدة للقضاء على هـذا الخبث بعد أن فتح الله علينا وهـدانا إلى الصراط القويم بالتائنا روابط الذل وحبائل الاحتلال . ولتكن بعد ذلك مادة اختيارية من بدئها إلى ختامها ، فمن شاء دراستها فعليه أن يتخذ لنفسه الوسيلة ، ومع ذلك فالدين النصيحة ، فليعلم من لا يعلم أن هذه اللغة إنما هى لغة الأنانية بكل مافى هذه الصفة من أوضار . ألا يرى معى القارئ كيف يجعلون ضمير أنا « I » هو الضمير الوحيد الذى يكتبونه بحرف كبير ؟ فما هو السر فى هذا إن لم تكن الأنانية

ونقولها صريحة لأبناء العراق الشقيق : إننا كما يقول أمير الشعراء « كلنا فى الهم شرق » ولـكننا كما نحصى على أنفسنـا أخطاءنا ، لا نضن عليهم بالنصح لوجه الله والعروبة ، فليعملوا فورا على تخلص لهجتهم ولا فتاتهم ومكتوباتهم من الألفاظ الانجليزية الدخيلة واستبدال الألفاظ العربية بها مثل « السائق » و « الـكوب » و « القنينـة » ولا داعى مطلقا لأن نقول driver و glass و bottle التى شـاعت فى العراق وتسىء إلى القومية العربية التى نعمل على تدعيمها وأنف المستعمرين فى الرغام

محمد محمود زيتون

بين مجزرة (دير ياسين) ومشنقة (الباب المعظم) :

الجمل اليهودى وسم الخياط

للأستاذ على حيدر الركابى

عثرت البشرية خلال تاريخها الطويل على مبادئ خلقية سامية اتفقت عليها وجعلتها معالم بارزة فى مجرى حياتها فإذا ما اقتربت منهـا أمة من الأمم وتمسكت بعراها كانت فى أوج تقدمها وإذا ما أهملتها وابتعدت عنها كانت فى أسفل دركات انحطاطها لا فرق فى ذلك بين أمة شرقية أو غربية ولا بين أمة حديثة أو قديمة

وتشذ أمة يهود عن ركب البشرية فى ذلك فتقرر لنفسها مقاييس خلقية خاصة وتبالغ فى هذا التخصص حتى تحتكر الخالق ، وبهذه الطريقة اليهودية الفذة تصبح العدالة شيئا نسبيا ومثلها الصدق والشرف إلى آخر ما تضمه الأخلاق من صفات معروفة وغير محصورة

وبالاستناد إلى هـذا المذهب اليهودى الخاص فى الأخلاق ينقلب الـكذب اليهودى صدقا والنذالة اليهودية شرفا والظلم اليهودى عدلا رائعا ! . . بينما ينقلب صدق غير اليهود كذبا وشرفهم نذالة وعدلهم ظلما إذا كان فى ذلك ما يمس مصلحة يهودية كبرت أو صغرت

لقد طالبوا بتقسيم فلسطين وأصروا عليه وجندوا الدنيـا لإقراره . فلما حققوه أعلنت أبواقهم فى كل مكان أنه الحل العادل الوحيد للمشكلة الفلسطينية لأنه يستند إلى حق اليهود التاريخى فى أرض الميعاد . أما أن تـكون فلسطين مأهولة بأكثرية ساحقة عربية ، أما أن تـكون هذه الأكثرية مالـكة لمعظم أراضى فلسطين منذ قرون ، فأمر لا يؤبه له وحق العرب المستند إلى تلك الأكثرية ليس بحق . لماذا ؟ لأنه ليس حقا يعود ليهودى !

وطالب العرب بتدويل القدس على الأقل ، فقامت قيامة اليهود وأرغوا وأزبدوا . لـماذا ؟ لأن أكثرية سكان القدس يهودية ، وهذه الأكثرية لا تريد تدويل القدس فيجب احترام رأى الأكثرية . .

عجيب والله أمر يهود ! تفرض إسرائيل فرضا ضد رغبة الأكثرية من السكان ثم ترفض تدويل القدس احتراما لرأى الأكثرية . . مثال رائع للعدالة النسبية التى تتعشقها يهود !

وينظم اليهود مذابح وحشية لـكى يحملوا العرب على ترك ديارهم ويعترف بذلك كبيرمجرميهم الإرهابيين – مناحيم بيكن – ويسجل اعترافه فى منشورات لتـكليزية أشار فيها إلى مذبحة دير ياسين وأنه تولى بنفسه تنظيمها والإشراف عليها لـكى يضمن تحقيق التنكيل المتقن بالعرب ، ثم يزور بيكن أمريكة فيستقبل فى نيويورك ومدنها اليهودية الأخرى استقبال الأبطال الفاتحين . ويمعن اليهود فى اضطهاد العرب ومصادرة أملاكهم

حتى بعد قيام إسرائيل . يفعلون ذلك دون تردد وبضمير هادئ لأنهم يهود وأعمالهم الوحشية موجهة ضد غير اليهود ؛ وإذن فهي في نظرهم أعمال تمثل منتهى العدالة، وإذن فهي تمثل منتهى الأخلاق !

وينظم اليهود إرهابا يهوديا منقطع النظير خارج حدود إسرائيل : في دولة عربية ؛ ويصبون في هذه الدولة سيلا متدفقا من الجواسيس يتآمرون على سلامتها . وهذا عمل صالح لا غبار عليه لمجرد أنه عمل يهودي موجه ضد غير اليهود ! أما أن تفطن تلك الدولة العربية إلى نوايا اليهود نحوها ، وأما أن تقوم بإلقاء القبض على أولئك الجواسيس والإرهابيين من يهود ، وأما أن تحيلهم إلى المحاكمة العلنية ، وأما أن تصدر الهيئة القضائية المختصة حكمها بإعدام بعض وسجن بعض فهي جرأة عجيبة لا تغتفر وهي الظلم بعينه ! لماذا ؟ لأن الدولة غير يهودية والمحكمة غير يهودية والمتهمين يهود . . . ويجب أمة يهود أن تتجاهل أن التحقيق كان أصوليا وشاملا وأن المحاكمات كانت علنية وأن محامين من غير اليهود تولوا الدفاع عن المتهمين وأن الحكم صدر ببراءة بعضهم . تتجاهل أمة يهود ذلك كله وتكذب لأن كذب اليهود لمصلحة يهودية هو الصدق بعينه

هذه هي المقاييس الخلقية المقلوبة عند اليهود ! . .

من حق (موشى شاريت) أن يعلن حزنه العميق أمام زملائه أعضاء (الكنيسيت) اليهودي ، ومن حق هؤلاء أن يوقفوا الجلسة حدادا ، ومن حق (أوبرى إيبان) أن يمتنع عن حضور جلسات هيئة الأمم لشدة حزنه ، ومن حق (راديو إسرائيل) أن يبدل برامجه ليذيع الكئيب من موسيقاه اليهودية البغيضة : من حق أمة يهود أن تفعل هذا وأكثر لتعرب عن شعورها لإعدام يهوديين في بغداد وسجن آخرين . ولكن ليس من حقها مطلقا أن تختلق وتتغالط وتكذب وتحتال لكي تهجم على الشرطة العراقية والقضاء العراقي والعدالة العراقية بأسرها وتوجه لها الشنيع من التهم بالبذيء من الألفاظ

عفوا ! قلت ليس من حقها ونسيت أن الحق اليهودي في عرفها له مفهوم يهودي خاص وهو حق ثابت لأنه حق يهودي . ولهذا أعود فأقول : إن من حقها اليهودي أن تفعل ذلك وأكثر ، ومن حقها اليهودي أن تستجير بالضمير الإنساني ليثور على حكم قانوني قضى بإعدام يهوديين ، بعد أن سخرت كل ما تملك من وسائل جهنمية لتحول دون ثورة ذلك الضمير الإنساني بعينه ضد فظائع فلسطين ومذبحة دير ياسين !

ولا أحب أن أعتقد أن الضمير الإنساني قد ماع إلى هذا الحد الذي يصبح معه أداة طيعة في أيدي اليهود : يثيرونه أو يخمدونه حسب مقتضيات المصلحة اليهودية وإن كان حقا أن الضمير الإنساني قد تدنى إلى هذا الحد في يوم الناس هذا فلا حول لنا ولا طول إلا أن نستجير بالله من يهود !

ولكن الضمير الإنساني في حقيقته السامية لا يمكن أن يصبح يهوديا لأن هناك تناقضا ثابتا بين الإنسانية في معانيها السامية وبين اليهودية . وعليه فلا بد للضمير الإنساني من يوم قريب بإذن الله يثور فيه على اليهودية العالمية وعلى طغيانها في هذا العصر

وما ذلك على الله بعزيز . . .

بغداد

علي حيدر الركابي

الخـــوف

للكاتب الفرنسي جان جاك روسو

أحد زعماء الثورة الفرنسية

للأديب محمود البكري محمد

... كنت في الريف ملقيا رحلي عند راهب بروتستانتي اسمه السيد « لامبيرسيه » ، واصطنعت من ابن عمي « برنار » صديقا لي . ولكنه كان جبانا إلى حد يثير الدهشة ، ولاسيما حين يجن الليل ! وكنت أسخر من خوفه دائما حتى ضاق «لامبيرسيه» ذرعا فأراد أن يضع شجاعتي تحت التجربة . . .

وفي ليلة داجية من ليالي الخريف دفع إلي بمفتاح المعبد . . ودعاني إلى أن أذهب إلى المنبر ، لأبحث عن الإنجيل الذي كان قد تركه هناك . وحتى يثير في حب الذات أضاف كلمات لم أستطع معها أن أتراجع ...

وانطلقت بلا ضوء .. وربما كان شرا أن يكون معي . . وكان لزاما أن أمر بالمقبرة ، فعبرتها في تسرع ، لأني حين أجدني في الهواء الطلق تنطلق تهاويل الدياجي من مشاعري ...

.. وعندما كنت أعالج فتح الباب سمعت أصداء تنبعث من القبة خيل إلي أنها أصوات . . وبدأ ثباتي «الروماني» يتزعزع وانفتح الباب ، وهممت بالدخول ، ولكني لم أكد أخطو بضع خطوات حتى توقفت ، أخذت أتأمل الظلام المطبق في هذا المكان الفسيح ... ورأيتني مشدودا برعب قف منه شعري ، فعدت أدراجي ، وخرجت ألتف في خوف . وفي الردهة بصرت بكلب صغير كان يسمى « سيلتان » . لاطفني ، فرد إلي بعض الطمأنينة ...

واستحييت من رعبي .. فعدت من جديد . . وتمنيت لو صحبني « سيلتان » .. ولكنه أبى أن يتبعني !

اجتزت الباب مسرعا .. ودخلت الكنيسة . . ولم أكد أدخل حتى ملأني الفزع ، وطار صوابي ! ومع أن المنبر كان على يميني وكنت أعرف ذلك حق المعرفة ، فكنت أدور بلا وعي ، وأبحث عنه كثيرا في الشمال ، وأتخبط حائرا بين المقاعد ، وما عدت أعرف أين أنا ، وما عاد في مقدوري أن أعثر لا على المنبر ولا على الباب ، ووقعت في قلق حائر لا يصفه تعبير !

وفي النهاية لمحت الباب ، فاندفعت إليه ، ومرقت منه — كما دخلته — في سرعة ، مصمما على ألا أدخله إلا في ضوء النهار ...

ورجعت على عقبي إلى المنزل .. وهممت بالدخول ، ولكن صوت السيد « لامبيرسييه » رن في عاصفة من الضحك . . وحسبت أن هذه الضحكات مني ، وخشية أن يفتضح أمري ترددت في فتح البـاب . . . وفي هـذه اللحظة سمعت ابنـة « لامبيرسييه » تبدي قلقها علي . . وتأمر الخادمة أن تأخذ المصباح — بينما يعارض الراهب — وتصحب معها ابن عمي الشجاع ، الذي لن يقصر أحد في تهنئته بهذا الشرف ! وفي تلك اللحظة ، تلاشت كل مخاوفي ، إلا خوفي من أن أصبح مثار الدهشة من رعبي ، فجريت وطرت إلى المعبد ، لا خائفا ولا ضالا .. ووصلت إلى المنبر ، وصعدته ، وتناولت الإنجيل .. ثم هبطت في سرعة ، وفي قفزات ثلاث كنت خارج المعبد الذي نسيت حتى أن أقفل بابه ، ودخلت مثواي لاهثا ، ورميت بالإنجيل على المنضدة مكدودا ، إلا أنني كنت مفعم القلب بالسرور لأنني سبقت النجدة التي كانت قد أعدت للبحث عني

محمود البكري محمد

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغانى

للأستاذ حمدى الحسينى

— ٣ —

أقام السيد جمال الدين فى الهند فترة من الزمن وضع خلالها رسالته فى الرد على الدهريين . ولما أن حدثت ثورة عرابى فى مصر حتى أسرعت حكومة الهند فوضعته فى نطاق من الرقابة الشديدة خشية أن تهب نسمة من روحه القوية على تلك الحركة الثورية فتزيد فى اشتعالها وتؤجج من نيرانها فتقطع على الاستعمار الانكليزى طريقه إلى مصر واحتلال مصر . ومذ اطمأن الانكليز على خططهم فى مصر سمحوا له بمغادرة الهند فغادرها إلى باريس حيث التقى بصديقه الأستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله فأصدرا جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين إلى الوحدة الإسلامية تحت لواء الخلافة العظمى حتى اشتدت مقاومة الاستعمار الانكليزى لها فأغلق دونها أبواب الهند ومصر فتوقفت عن الصدور ، وكان قد وصل فى ذلك الوقت صدى تلك المقالات القوية التى نشرتها العروة الوثقى عن الاستعمار الانكليزى فى البلاد العربية والإسلامية إلى لندن ، وكانت حركة المهدى لا تزال فى السودان مندلعة النار فيتخذ الاستعمار الانكليزى من الحجة فى إخمادها وسيلة للسيطرة على مصر والتدخل فى شئونها . فاستدعى سالسبرى رئيس وزراء انكلترا فى ذلك الوقت السيد جمال الدين بحجة استطلاع رأيه فى المهدى وظهوره، وقصده الحقيق أن يحك هذه النفس الكبيرة بما عنده من جاه وسلطان ظنا منه أن مثل هذه النفس تلين بمثل هذا الإغراء الرخيص الذى كان الاستعمار يستعين به على كم أفواه الرجال فذهب جمال الدين إلى لندن واجتمع بسالسبرى اجتماعا عرض سالسبرى فيه على السيد جمال الدين أن يمينه سلطانا على السودان ليستأصل جذور فتنة المهدى ويمهد السبيل لإصلاحات بريطانيا فيه : « تكليف غريب وسفه فى السياسة مابعده سفه » بهذا أجاب السيد جمال الدين رئيس وزراء بريطانيا العظمى ثم قال له : هل تملكون السودان حتى تريدون أن تبعثوا إليه بسلطان ؟ مصر للمصريين والسودان جزء متم لها . وصاحب الحق الخليفة الأعظم حى يرزق ولديه من الجيش المادى والمعنوى ما يتذلل معهما كل صعب وفتنة فى الكون الإسلامى وأجزاء ممالكه . قال هذا وخرج ثم عاد إلى باريز فالتقى بالفيلسوف الفرنسى — رينان — وجرى بينهما حديث فى العلم والإسلام وحقيقة القرآن والعمران (فشهد له رينان بصحة العلم وقوة الحجة ورجع عن كثير من آرائه فى أن الإسلام والقرآن مانعان للحضارة والعمران

فقضى السيد جمال الدين ما يزيد على الثلاث سنوات فى باريز بذل خلالها من الجهود العظيمة الموفقة فى مكافحة الاستعمار الاوربى الطامع فى البلاد العربية والإسلامية ما جعل هذا الاستعمار يشعر بالقلق والاضطراب فى حركاته وسكناته والخوف والذعر على آماله وغاياته . وبينما كان هذا النسر المحلق فى سماء مجده يهم برحلة واسعة شاملة فى البلاد العربية إذ بشاه إيران يستقدمه إلى طهران فآثر تلبية الدعوة وذهب إلى طهران فاستقبله الشاه بالإكرام والاعظام واسند إليه وزارة الحربية فى حكومته وجعله فوق مستشاره الخاص ، فحمل أعباء عمليه العظيمين فى الدولة وراح يرشد الشعب الفارسى إلى ما له من حقوق وما عليه من واجبات فالتفت حوله أمراء البلاد وعلماؤها وأقسموا له بأن يصدعوا بما يأمرهم به فأوجس الشاه خيفة فتنكر له ، فرأى أن يستأذن الشاه بمغادرة البلاد فغادرها إلى روسيا وكانت شهرته قد سبقته إليها فاستقبل فيها بالاجلال والاحترام . ودعاه القيصر واجتمع به وسمع حديثه عن أسباب الخلاف بينه وبين شاه ايران ، فقال له القيصر إنى أرى الحق فى

جانب الشاه إذ كيف يرضى ملك أن يحكم فيه فلاحو مملكته .

فقال له جمال الدين أعتقد ياجلالة القيصر إن عرش الملك إذا كانت ملايين الرعية أصدقاء له خيراً من أن تكون أعداء يترقبون الفرص ويكنون في الصدور سموم الحقد ونيران الانتقام .

فغضب القيصر وأوعز إلى رجال بلاطه بأن يخرجوه من بلاده بأقصى حدود السرعة . فخرج منها إلى أوروبا وأخذ يتنقل في عواصمها حتى التقى في ميونيخ بصاحبه شاه ايران ثانية فاعتذر له الشاه عما فرط منه نحوه ، ودعاه لمرافقته إلى طهران فقبل جمال الدين الدعوة وسار معه إلى بلاد فارس . ولم تكد رجلاه تطآن أرض فارس حتى عاد الناس فالتفوا حوله كما فعلوا في المرة الماضية وقد كلفه الشاه هذه المرة أن يضع ما يراه مناسباً للمصلحة العامة من القوانين ، فسن قانوناً أساسياً المملكة يقضي بأن تكون الحكومة ملكية شورية (دستورية) ولكن ما كاد الشاه يطلع على ذلك حتى طار صوابه. فقال للسيد جمال الدين : أيصح ياحضرة السيد أن أكون وأنا ملك ملوك الفرس كأحد أفراد الفلاحين ؛ فقال له جمال الدين اعلم ياحضرة الشاه أن تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك ستكون بالحكم الدستوري أعظم وأنفذ وأثبت مما هي الآن . فنفر منه الشاه وأعرض عنه فأحس بهذا النفور فاستأذن بالذهاب إلى بلدة (شاه عبد العظيم) فأذن له . فذهب إليها وتبعه عدد كبير من الزعماء وقادة الرأي في البلاد فخاف الشاه عاقبة ذلك فأمر بالقبض عليه فانتزع من فراشه وهو محموم وأوصل إلى حدود العراق ، فذهب إلى البصرة وأقام فيها حتى عادت إليه صحته فغادرها إلى لندن . وهناك جاءته من عبد الحميد دعوة إلى الآستانة فذهب إليها وكان في استقباله ياور السلطان فسأله أين الصناديق أيها السيد ؟ فقال له : ليس معي غير صناديق للثياب وصناديق الكتب . فقال الياور أين هي ؟ فقال جمال الدين أما صناديق الكتب فها هي، وأشار إلى صدره ، وأما صناديق الثياب فهذه وأشار إلى جبته . ذهب السيد جمال الدين لمقابلة السلطان فاستقبله أحسن استقبال وأرسله إلى قصر كان قد أمر باعداده له . وما أن خرج من حضرة السلطان حتى قال له كبير الياوران في شئ من الاستغراب والعتاب : ان اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل . واليوم رأيناك تخاطبه بلهجة غريبة وأنت تلعب بالمسبحة في حضرته . فقال له جمال الدين : سبحان الله ! أن جلالة السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الأمة على هواه ولا يعترضه منهم أحد؛ أفلا يكون لجمال الدين حق أن يلعب بمسبحته كيف يشاء ؟ !

أما إكرام السلطان لجمال الدين واحتفاؤه به وإقباله عليه فكان عظيما جدا . وأما إعجاب جمال الدين بالسلطان فكان إعجابا آخذا عليه جوانب نفسه ؛ ولكن إعجابه هذا بالسلطان لم يمنعه من أن يقول له في صراحة ووضوح وفي شجاعة وعزم : خذ بعزم جدك محمود ، وأقص الخائنين من خاصتك ، واظهر للملأ ظهورا يقطع من الخائنين الظهور ، واعتقد أن نعم الحارس الأجل . مما جعل السلطان يتنفس الصعداء ويعتذر له عما دعاه إليه بما في بيئته من الفساد ، ويعده أن يفعل ما دعاه إليه في المستقبل

قد عرض السلطان على جمال الدين مشيخة الإسلام ليصلحها فأبى ذلك وطلب من السلطان أن يعمل عملا يتغير معه شكل الحكم تغييرا أساسيا وهو يعني بهذا الرجوع إلى الشورى في الحكم ، كما عرض عليه أضخم الوظائف وأعلى الرتب وأسمى النياشين فرفضها كلها قائلا : إن وظيفة العالم ليست بمنصب ذي راتب بل بصحيح الإرشاد والتعليم ، ورتبته ما يحسن من العلوم مع حسن العمل بالعلم

قضى جمال الدين في الآستانة أربع سنين ضيفا على السلطان كان خلالها حركة خير دائمة ، بوعظه وإرشاده حتى دهمه داء السرطان فمات رحمه الله سنة ١٨٩٧ ميلادية (١)

رمى السرطان الليث والليث خادر ورب ضعيف نافذ الرميات

(١) اعتمدنا في كتابة هذا المقال على كتاب : خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني . تأليف محمد باشا المخزومي طبعة بيروت سنة ١٩٣١

محمدى الحسينى

ثـــــورة الشرق

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

في مصر ثورة

وفي إيران ثورة

وفي تونس ثورة

وفي مرا كش ثورة

جميع هذه الثورات تهدف إلى غرض واحد هو تحرير الشرق من سيطرة الغرب وسيادته

فمصر قد قامت تناضل وتكافح من أجل حريتها واستقلالها ووحدة واديها ، وقد أقسم أبناؤها ألا يهدأ لهم بال ، أو يغمض لهم جفن ، إلا إذا حققوا لوطنهم أهدافه المشروعة ولن يعبأوا عما يبذلون من تضحيات ودماء

ولكن إنجلترا ترفض أن تسلم بحق مصر المشروع ويمعن جنودها في تحديهم لمصر وأبنائها ، بل أكثر من هذا لقد خرج الانجليز على كل المبادىء الإنسانية والقوانين الأخلاقية فارتكبوا من الجرائم الوحشية ما يخجل من ارتكابه أحط الشعوب وأقلها حظا من المدنية . لقد اعتدوا على الشيوخ الضعفاء في صلواتهم وهاجموا الأطفال والنساء وانتهكوا حرمات المنازل فطردوا أهلها منهم ، وشردوا عائلاتهم في الطرقات والشوارع تحت وابل من رصاص مدافعهم ودباباتهم وطائراتهم ، وارتكبوا ما لا يحصى ولا يعد من حوادث السلب والنهب . ثم عمدوا أخيراً إلى نسيان جميع القوانين الدولية ، فعذبوا الأسرى وأطلقوا عليهم الوحوش الضارية فنهشت لحومهم وهم أحياء ثم أعدموهم رميا برصاص دمدم . حتى بيوت الله من مساجد وكنائس بل والمقابر لم تسلم من عدوانهم وإجرامهم . ويدعى الانجليز بعد ذلك أنهم متحضرون على أكبر جانب من الحضارة والمدنية !

ولسنا نعرف بعد أي قانون أباح لانجلترا وأبنائها أن ينزلوا في بلاد غير بلادهم على غير إرادة أهلها وأن يقيموا كرها بغير رضى أصحاب البلاد ثم يقترفوا في هذه البلاد أشنع الإثم وأفظع الجرم إذا ما طولبوا بمغادرتها ! أهو قانون عصبة الأمم البائدة ، أم قانون هيئة الأمم المحتضرة ؟

فليمعن الانجليز في ضلالهم فإن هذا يقرب نهايتهم ويدنى أجلهم

وفي إيران ثورة على القراصنة الانجليز . لقد هال الايرانيين ما تربحه شركة البترول الانجليزية من أموال طائلة فقد بلغت أرباح الشركة عام ١٩٥٠ ما يزيد على مائة مليون من الجنيهات ، ومن ثم قررت إيران تأميم البترول في بلادها ، وطردت الانجليز من ديارها . وطأطأت انجلترا رأسها وانسحب أبناؤها الشجعان تحت جنح الظلام من إيران . لماذا ؟ لأن انجلترا خافت أن تصبح إيران « كوريا » أخرى تأكل الانجليز الشجعان . والسر في ذلك أن روسيا جارة لإيران ، وأن إيران تستطيع في سهولة ويسر استيراد الأسلحة من روسيا ، ومن هنا جبنت إنجلترا « الشجاعة » في إيران واستأسدت في مصر . لكن أبناء النيل سيذيقون أبناء التاميز أشد ألوان العذاب والهوان

وفي الأسبوع الماضي أمرت إيران إنجلترا بإغلاق قنصلياتها في ديارها . ومرة أخرى طأطأت إنجلترا رأسها ورفعت إيران هامتها . وهكذا تقلص النفوذ البريطاني من إيران وذهب إلى غير رجعة

الضمير الأمريكي

في ١٩ يناير الماضي انتابت إنجلترا وجنودها نوبة من الجنون ، فأخذ الجنود الإنجليز يصلون مدينة الاسماعيلية نارا حامية وكانوا يطلقون نيرانهم على غير هدى وفي وحشية منقطعة النظير . وقد أصابت إحدى رصاصاتهم قلب راهبة أمريكية فخرت صريعة . وبرغم هذه الحقيقة راحت إنجلترا أكذب

أهل الأرض جميعا تذيع أن الراهبة قتلت برصاص أطلقه الفدائيون المصريون ، وكانت ترمى بهذا إلى كسب عطف الرأى العام الأمريكي وإثارته ضد مصر . وإنجلترا كما عرفناها دائما لا تتعفف فى الوصول إلى غايتها عن استخدام أحط الطرق وأدنى الوسائل من كذب ونفاق وغدر وخيانة

وقد ثارت أمريكا وكلف السفير الأمريكى فى القاهرة ببحث الحقيقة ، وقد قام القنصل الأمريكى ببور سعيد بعمل التحقيق وأعلن السفير أن التحقيق لم يثبت إدانة المصريين

إلى هنا انتهت مسألة الراهبة ، ولكنى أحب أن أتساءل :

لقد ثار الأمريكان لمقتل راهبة واحدة فلم لا يثورون ضد انجلترا وهى تقتل وتشرد كل يوم آلاف الأبرياء من المصريين لاذنب جنوه ولكن لأنهم آمنوا بوطنهم وطالبوا انجلترا بالخروج منه ؟ أين الضمير الأمريكى ؟

ولكنا قد عرفنا الأمريكان وغيرهم من أهل الغرب . ألم يشردوا مليونا من العرب وطردوهم خارج ديارهم ! واليوم تشرد انجلترا سكان منطقة القنال ! ولكن مهلا ! إن نصر الله قريب

وتونس

فى ١٨٣٠ احتلت فرنسا الجزائر، وفى ١٨٨١ ادعت فرنسا أن القبائل التونسية تهدد سلام الحدود الجزائرية ، ثم ارسلت قواتها فاحتلت تونس بعد نضال مرير ، وأرغمت « الباى » على توقيع معاهدة تمهد فيها أن تسير حكومته وفقا لرغبات فرنسا ، وكان معنى هذا انتقال إدارة تونس إلى يد الفرنسيين

وقد قام التونسيون منذ قليل يعلنون أنهم قد بلغوا سن الرشد وأن من حقهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم » . ولكن فرنسا لم تقبل هذا وانطلق أبناؤها يقتلون إخواننا الأبرياء من التونسيين ، وفى كل يوم يسقط منهم جرحى وشهداء

وهكذا يتآمر أهل الغرب ضد الشرق وحرياته وتقف دوله وخاصة انجلترا وفرنسا فى وجه الأمانى المشروعة لأهل الشرق ، وترتكب الدولتان فى سبيل إبقاء سيادتهما أشنع الإثم وأفظع الجرم ، ولكن الحركات القومية فى الشرق لن يخمد أوارها حتى يعود للشرق مجده وكرامته وحريته واستقلاله

يا بغاة الغرب

أكثروا من ظلمكم وبغيكم فإن فيهما مصرعكم ، واعلموا أنكم كلما أمعنتم فى الطغيان وسفك الدماء قربتما من حرياتنا وأهدافنا

أبو الفتوح عطيفة

٣ - دعوة محمـــــد

لتوماس كارليل

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

دين القوة والعدل

لقد اتهم كثيرون الدين الإسلامى بالشهوانية والدعوة إلى الاستكانة والخلود إلى الكسل ، ولكنى أرى أن كل ما كتب فى هذا الموضوع وكل ما قيل فيه إنما هو جور وظلم لا يقبلها منصف ولا يقرهما عاقل ، فإن ما أباحه الإسلام مما تحرمه النصرانية، لم يكن من عند محمد وإنما كان متبعا لدى العرب جاريا عندهم من قديم الزمان . وكل ما عمله الإسلام أنه أراد أن يقلل من عادات العرب المستهجنة جهد استطاعته ، وجعل عليها من الحدود والأحكام مما جعل الدين الإسلامى ليس سهلا هينا كما يدعى أولئك الحاقدون

وكيف يكون الإسلام دينا هينا وفيه من القواعد الصعبة التى تربى المسلمين على الطاعة والنظام والنظافة والأخذ بأسباب القوة والمنعة ؟ إن دينا فيه الوضوء وإقامة الصلاة خمس مرات فى اليوم والصوم شهرا كاملا كل سنة ، وتحريم الخمر والميسر والزنا وأكل أمـــوال اليتامى وغير ذلك ، لا يكون إلا دينا يعمل لخير البشرية جمعاء . وإن دخول الناس فى الإسلام أفواجا ، وإقبالهم عليه، لم يكن كما يدعون ، لسهولته ويسره وقلة تكاليفه، لأنه من أخس الطعن على بنى البشر والقدح فى عقولهم وذم أحلامهم ، أن يتهموا بأن السبب فى محاولتهم القيام بجلائل الأعمال والاتيان بمظائم الأمور ، هو الراحة والدعة والإخلاد إلى الهدوء ، والتماس الجانب اللذيذ من الحياة الدنيا والتمتع بها فى الآخرة بأيسر السبل ، فإن أى آدمى لا يخلو من المظامة ومحاولة الوصول إلى جلائل الأعمال

فنحن نجد الرجل القاتل الذى يؤجر روحه ويبيعه بأبخس الأجر ، يتمسك بالشرف والرفعة ولا ينفك يقول : لأفعلن ذلك وشرفى . ولن نجد آدميا مهما كان وضيعا يقبل أن يكون كل همه من الحياة ملء جوفه بالطعام ، ولكننا نجده يحاول دائما أن يأتى بأعمال شريفة يذكر بها ليثبت للناس أنه يستحق الحياة ، وأنه ليس أقل من سواه من بنى البشر . وما أشد تعس الذين يرمون الإنسان بأنه ميال بفطرته إلى الراحة والدعة وأنه يحب الترف ويستكين إلى اللذة ، وفاتهم أن الذى يجذب الإنسان ويستهويه إنما هى الأهوال والصعاب والقتل والاستشهاد . ومن أراد دليلا على قولى هـذا ، فليمهد إلى أبلد إنسان ويرشده إلى سبيل المكرمات والمحامد ، فإنه لا يلبث أن يراه وقد اتقدت نفسه غيرة وتأجج قلبه حماسة، بل وإنه سيصبح بطلا عظيما . وما علينا إلا أن تقدح ما بنفس المرء من زناد الفضل فإنه لابد وأن تشتعل نفسه نارا تحرق ما فيه من أوشاب ونقائص

فمن الخطأ الفاحش أن نعتقد أن اعتناق الناس لدين من الأديان ، عما يجدون فيه من يسر ودعة ومتاع ولذة ، ولكنهم يدخلونه لما يثير فى قلوبهم من عوامل الشرف والعظمة ، ولما يبعث فى نفوسهم من دواعى المجد والبطولة ، والإسلام على الخصوص ، ليس كما يتهمه خصومه دين راحة ودعة واستكانة ورضى بأى الحياة تكون ، ولكنه دين عزة ومنعة ودين تربية وقوة ، ودين شرف وفضيلة . وليس أدل على ذلك من سرعة انتشاره فى أكثر بقاع الأرض فى أقل من قرن من الزمان ، صار العرب فيه سادة العالم وأساتذته

وهذا لما للإسلام من مزايا وخلال عظيمة لا توجد — كما قلت — فى دين غيره . وإن أشرف هذه المزايا وأجلها هى مساواته بين الناس ، وهذه أكبر دليل على صواب الرأى وصدق النظر فالناس فى الإسلام سواء لا يفضل أحدهم غيره إلا بالتقوى والعمل النافع « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ، « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوى والعمل »

ومن خلاله الحميدة ، أنه لا يقتصر على جعل الصدقة سنة محبوبة بل جعلها فرضا على كل مسلم، وأنها إحدى قواعد الإسلام

الخمس وقرنها بالصلاة « وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » وجعلها جزءا مقدرا من مال المسلم الذى يستطيع إخراجها ، توزع على الفقراء والمساكين وغيرهم ممن هم فى حاجة إلى العون والمساعدة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »

ما هذا ؟ إنه صوت الإنسانية الطاهرة الكبيرة . إنه نداء الرحمة والأخاء والمساواة يخرج من ذلك القلب الكبير قلب ابن الصحراء ، يحث الناس أن يواسى أغنياؤهم فقراءهم ويقول لهم إن ما ستنفقونه سيرد إليكم أضعافا مضاعفة . « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » ، « مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل » ثم يحذرهم ويخوفهم عاقبة شحهم وكنزهم المال وعدم إنفاقه على من يستحقونه « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »

ooo

وأى دليل أقوى على تبرئة الإسلام من الميل إلى الملاذ والشهوات ، من صيام شهر كامل كل سنة تزجر فيه النفس عن مطالبها وتحبس عن غاياتها ، وتلجم فيه الشهوات ، ويحال بينها وبين مآربها ؟ وليس بالمهم أن يباشر المرء اللذات ، وإنما المنكر هو أن تذل النفس وتخضع ضارعة لجبار الشهوات وتنقاد ذليلة خانعة لرغبات الشيطان ، فإذا استطاع المرء أن يكون له على نفسه سلطان يكبح جماحها ويسلس قيادها فإنه بذلك يكون قد بلغ أشرف المكارم وأمجد الخصال . وبهذا يستطيع أن يجعل من نفسه هاديا إلى الرشاد والخير ، ومن لذائذه بدل أن تكون سلاسل وأغلالا تعيبه وترهقه ، يجعلها حليا وزخارف تزينه وتشرفه . وهذا هو المقصود من صوم شهر رمضان كل عام . وسواء أكان مقصودا من محمد لمسايرة ما كان عليه العرب قبل الإسلام أو كان من وحى الله له فهو والله نعم الأمر « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

القرآن

أما القرآن فهو الكتاب الذى جاء به محمد من عند ربه ، وضمنه تعاليم الإسلام وقواعده التى يجب على المسلمين اتباعها ، وقد ضم بين دفتيه أحكاما لو اتبعها العالم لكان خيرا مما هو عليه الآن . وقد أعجب المسلمون به وحفظه أكثرهم عن ظهر قلب وإن . أعجابهم به وقولهم بإعجازه لأقوى دليل على اختلاف الأذواق فى الأمم

وقد ادعى كثير من الأوربيين أنه كتاب خال من الجمال والروعة ، وفاتهم أن الترجمة هى التى تفقده روعته وتذهب بكثير من حسن صياغته وجمال صنعته . فإذا وجد الرجل غير العربى عناء ومشقة فى فهمه ومعرفة أسراره وأنه يخيل إليه وهو يقرأه أنه يقرأ صحيفة لا شئ فيها ويحمل نفسه الشاق والتعب ويحمل على ذهنه جبالا وهضابا من الكلم لا يجد بينها كلمة لها معنى فى نفسه ؟ ذلك لأنه قد ذهبت روعة المعانى وجمال الألفاظ بالترجمة التى لا يمكن أن تكون كالأصل

أما العربى فإنه يرى القرآن على عكس مايراه غيره؛ لأن هناك صلة قوية بين لغة القرآن وبين لغة العربى ، بل أنه نزل بها وهى اللغة الفصيحة المحببة إليه (إنا أنزلناه قرآنا عربيا غير ذى عوج) (بلسان عربى مبين) ولما بينه وبين ذوق العربى من الملاءمة والاتصال ، ولذلك عرف العرب قدره وعظموه وأعطوه من التبجيل والإحترام ، مالم ينل بعضه الانجيل من أتقى النصارى ، بل إنهم عدوه معجزة خارقة . وكيف لا يكون كذلك وقد عجزوا وهم البلغاء والفصحاء على أن يأتوا بسورة من مثله « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين »

إنه الوحى المنزل من عند الله هدى للناس وتبصرة وسراجا منيرا يوضح لهم سبل العيش ويهديهم صراطا مستقيما ، ومنذ أن نزل القرآن وهو قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع فى شئون الحياة ومسائلها ، وما برح فى كل زمان ومكان . مصدر أحكام القضاة ومرشدهم يستنيرون به ويهتدون بهديه ، ومن

تعظيم العرب له أنهم جعلوه درسا واجبا على كل مسلم حفظه ودرسه والاسترشاد به في أمور الحياة ومشكلاتها . وفي البلاد الإسلامية مساجد يرتل فيها القرآن صباح مساء وفي بعضها يتلى القرآن جميعه كل يوم مرة، يقوم بهذا العمل نحو ثلاثين قارئا

إن هذا الكتاب ما يزال رغم انقضاء أثنى عشر قرنا على نزوله ، يرن صوته في آذان آلاف من المسلمين وفي قلوبهم تتجاوب أصداؤه جنبات كثير من بقاع الأرض في كل يوم وساعة ولحظة . وقد قيل إن بعض الفقهاء قد قرأه أكثر من سبعين مرة

وما أبعد الفرق بين القرآن والكتب الأخرى إذ أن تلك الكتب قد أصبحت كلمات لا صلة لها بالله الذي نزلها ، بعد أن شوهها أهلها بالتحريف والتزوير لتناسب أغراضهم وتقضي حوائجهم . أما القرآن الذي بقي كما هو فإنه لا يزال يتخذ المكان الأول من قلوب المسلمين ، بل إنه كثيرا ما يستولي على أفئدة السامعين من غير المسلمين ، فإن الكلام إذا خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان أما إذ خرج من القلب فإنه ينفذ إلى قلب سامعه ، وهذا هو حال المسلمين مع القرآن إذ أنهم يخرجونه من قلوبهم بعد أن طهرها من كل رجس ونقاها من كل غل وبغض

لقد اتهم بعض الحاقدين محمدا، بأنه هو الذي وضع القرآن، وأن القرآن ليس إلا بعض الخدع والحيل البلاغية لفقها محمد ليشغل بها الناس عما يرتكب ويلهيهم عما يقترف ولتكون له أعذاراً وذرائع ليبلغ بها ما تصبو إليه نفسه من مطامع وأهواء وغايات . وهؤلاء قد أعماهم التعصب البغيض عن التمييز بين الحق والباطل . وقد آن لنا أن نرد لهؤلاء أقوالهم في نحورهم ، ليعلموا أنهم قصيرو النظر وأن الحق لا بد منتصر يوما وواجد أعوانا ومدافعين . إن هؤلاء شديدو البغض للحق بعيدون عن الصراحة . ولولا ما استولى على نفوس هؤلاء من حقد على محمد والإسلام لوضعوا الحق في نصابه ولكانت الصراحة رائدهم ، فإن من كان صادق الحس ثاقب النظر ، لن يرى في القرآن ذلك الرأي الباطل الذي لا يصدر عن عاقل يقدر الأمور ويضعها في مواضعها

إني والله لأمقت كل من يحاول أن ينال من محمد ويرميه بمثل هذه الاتهامات والأكاذيب . فالقرآن لو تدبرتموه وعرفتموه لوجدتموه جمرات ذاكيات من الحق والصدق والخير والهدى والرشاد ... التي يحتاجها العالم وبغيرها يهوي إلى قرار سحيق . إنها جمرات قذفت بها في نفس محمد الكبير ، القوة القاهرة ، بعد أن أذكت هذه النفس وأوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات . إننا لو عرفنا سيرة محمد لوجدنا أن تدفق الحوادث وتدافع الخطوب يحول بينه وبين تنسيق الكلام والروية في القول . ويالها من خطوب كانت تحدق به من كل جانب وتحيط به من كل مكان ، فقد قضى الثلاث والعشرين سنة التي أخذ يدعو الناس فيها إلى الإسلام قطبا لرحى حوادث ومصادمات وحروب طاحنة مع قريش ومن ألبتهم عليه من العرب ، ومصادمات مع أطراف الدول الأخرى المتاخمة لجزيرة العرب ، وغير ذلك من عالم كله هرج وفتن ومحن قاسية ، كل ذلك جعله في عناء دائم ونصب مستمر بعد تكليفه بتبليغ الرسالة التي أوحيت إليه ، فلم تذق نفسه الراحة والهدوء من ذلك الوقت، فمن الخطل أن نقول: إنه هو الذي وضع هذا الكتاب البليغ الأسلوب المنمق العبارة ، الشامل لمسائل الحياة ، الدنيا والآخرة والذي أعجز بلغاء العرب عن الاتيان بمثله . إن من أكبر العار على العالم أن يتهم محمدا بهذا الاتهام الباطل الجائر

وإني لأتخيل محمدا ذا الروح الوثابة والقلب الكبير وهو يتململ ليله ساهراً ، فإذا ظهرت له بارقة نور استبشر وفرح بنزول الخير من عند الله

إن هذا القلب الكبير ، محال أن يكون قلب محتال أفاك . وإن هذه النفس الصافية التي تفور بالوجد وتتأجج بالخير لا يمكن أن تكون نفس مشعوذ دجال ، كما يزعم الجهلة الأفاكون . كلا ثم كلا، فلقد كانت الحياة في نظره حقا، وكذلك الكون في نظره حقيقة كبرى تدل على قدر صانعها الذي أحسن كل شيء خلقه

عبد الموجود عبد الحافظ

٣ـ عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافي

(تتمة)

تكلم الدكتور فى الفصل المذكور عن دوريل مكتشف البكتريوفاج . وقال إنه أثبت أن البكتريوفاج هو العامل الوحيد على إطفاء جائحات الهيضة المسماة بالهواء الأصفر أو الكوليرا ، وإنه موجود فى براز من هم فى دور النقاهة من المرض المذكور ، وإن الذباب يأخذه وينقله من براز هؤلاء ، وإنه متى ظهر وانتشر الذباب الحامل للبكتريوفاج بكثرة فى البلاد انطفأت جذوة الهواء الأصفر ، وانقطع داؤه بسرعة

فيفهم من هذا ، أن البكتريوفاج لا يوجد إلا فى أيام الهيضة ، لأن الذباب إنما يأخذه من براز الناقهين من هذا المرض ، فاذا انقطعت الهيضة لم يبق للبكتريوفاج وجود . ولم يذكرلنا الدكتور فى كتابه لا صراحة ولا ضمناً أن البكتريوفاج موجود فى كل براز من براز الإنسان والحيوان لأنه إذا كان موجودا فى كل براز لزم أن يكون موجودا فى الذباب دائما وأبدا فأينما وجد الذباب وجد معه البكتريوفاج وإلا فلا

ثم تكلم الدكتور فى الفصل المذكور ، فبين كيف كان دوريل يعمل على تكثير البكتريوفاج بازدراعه ، وكيف كان يداوى به المريض بمرض الهيضة ، وقال ثم أخرجت تجارب عديدة فى الهند فأتت بنتائج باهرة فيما يختص بباسيل الدوزنطاريا الحادة، إلى أن قال فحصلوا على نتائج باهرة . وكان البكتريوفاج العامل فى شفاء الكوليرا والدوزنطاريا الحادة. وقال ثم جاءت مجلة التجارب الطبية فى عددها (٥٤) الصادر فى عام ١٩٢٧ بمقال عنوانه البكتريوفاج فى ذباب البيوت ، قالت فيه لقد أطعم الذباب الذى يألف البيوت زرع الجراثيم الرضية ، وبعد حين اختفى أثر هذه الجراثيم فى الذباب فاتت كلها وتولد فى الذباب مادة قاتلة تسمى البكتريوفاج . ويدعى الكاتب أنها خلاصة من الذباب ، ومن محلول ملحى فسيولوجى ، وأن هذه الخلاصة تحتوى على مادة البكتريوفاجين القوية المضادة لأربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض ، أو أنها تحتوى على مادة نافعة أخرى ليست من نوع البكتريوفاج ، ولكنها من حيث الجوهر تفيد الدفاع العضوى عند مقاومته أربعة أنواع من الجراثيم المرضية . هذا آخر ما قاله الدكتور فى الفصل المذكور

فيفهم من هذا فهما جليا ، أن البكتريوفاج لا يشفى من جميع الأمراض وإنما يشفى من مرض الهيضة والدوزنطاريا لأن هذين المرضين يشتركان فى أنهما اختلال فى الأمعاء .

ويفهم أيضا أن البكتريوفاج لا يضاد جميع الجراثيم المضادة التى ينقل الذباب بواسطتها الأمراض إلى الناس ، وتكلم الدكتور عنها وعددها فى الفصل الثانى من رسالته ، فذكر منها السل والدراخوما والتيفوئيد والزحار والطاعون والحمرة والجمرة الخبيثة والكوليرا والجذام والتيفوس والرمد بأنواعه

وبهذا يتضح أن الذباب لا يأخذ البكتريوفاج إلا من براز الناقهين من مرض الهيضة ، وهذا لا يوجد فى كل زمان ومكان .

وأما الخلاصة التى ذكرها عن مجلة التجارب الطبية والتى تحتوى على المادة البكتريوفاجية ، فالبكتريوفاج فيها حاصل بالتطعيم ولم يأخذه الذباب من الخارج ، إلا أنها تدل على أن الذباب فيه خاصية توليد المادة البكتريوفاجية المضادة لأربعة أنواع من الأمراض لا للأمراض كلها، وهذا لايلزم منه أن يكون الذباب مطهرا بالبكتريوفاج من جميع الأدواء ، ولا شافيا من جميع الأمراض ، كما أنه لا يستوجب غمس الذباب فى الشراب على الإطلاق . أما الحديث فانه يطلق الأمر بغمس الذباب ولم يقيده بشئ

هذا ما نستخلصة من كلام الدكتور للجواب على السؤالين المذكورين فى صدر المقال ثم نقول

إن البكتريوفاج لا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يكون موجودا فى الذباب دائما وأبدا وشافيا من جميع الأمراض ، وإما أن لايكون كذلك . فعلى التقدير الأول يلزم أن نتخذ الذباب فى حياتنا واقيا لنا من جميع الأمراض ، وأن نفنى كل

كل العناية بهو بتنميته وبتكثيره في بيوتنا وألا نتحاشاه ، بل نضعه في أطعمتنا وأشربتنا لنأمن به من عاديات الأسقام وجائحات الأمراض

وإذا كان هذا حقاً فلماذا نرى الدكتور في رسالته يصيح بالناس صيحة النذير العريان ، فيحذرهم من أخطاره وينذرهم بإضراره ، ويستحثهم إلى محوه واستئصاله ، كما أطال الكلام بذلك في الباب السادس والسابع والثامن من رسالته

وأما على التقدير الثاني ، وهو أن البكتريوفاج لا يوجد في الذباب دائماً وأبداً ، وإنما يوجد فيه عند حدوث أحوال وظروف خاصة ، وأنه لا يشفي من جميع الأمراض ولا يضاد جميع الجراثيم ، وإنما يشفي من أمراض خاصة ، ويضاد أربعة من الجراثيم المضرة ، فنقول فيه إنه يلزم حينئذ أن يكون الأمر بغمس الذباب في الشراب مقيداً بتلك الظروف والأحوال ، لا مطلقاً . ولا يخفى أن الحديث الذي جعله الدكتور من معجزات الرسول يطلق الأمر بالغمس ولم يقيده بشيء ، كما أنه يخص بالشفاء أحد الجناحين دون الآخر

أما أنا فلا أشك أن الحديث موضوع لا أصل له كما ذكرت ذلك وبينته في كتابي (الشخصية المحمدية) عند الكلام على الرواية عند العرب . ومن العبث أن نفتش عن معجزات رسول الله في مثل هذه الأمور التي يكتشفها الناس ويصلون إلى معرفتها بالطرق العلمية والوسائط الفنية ، ولو كانت معجزة لما قدروا على اكتشافها . ولو جاز أن نثبت معجزة من هذا النوع لجاز أن نثبتها للمتنبي شاعر العرب فإنه قبل عشرة قرون قال :

لعل عتبك محمود عواقبه   فربما صحت الأجسام بالعلل

انتقد المتنبي على هذا وقيل له هذا من قول الطبيب أو الحكيم كما في رسالة الحاتمي أو غيره ، فانظر إليها فقد قال هذا في الأيام التي كان التطعيم فيها بجراثيم الأمراض غير معلوم ، وفن البكتريولوجيا غير موجود ، فأين هذا وأين المعجزات ؟

إن الله لم يرسل رسوله إلى الناس لتعليمهم العلم وإنما أرسله إليهم ليصلحهم ويأخذهم بالطاعة وبالأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، ذلك لأن السعادة الانسانية لا تتحقق إلا في مجتمع ، وإن المجتمع لا يتم بناؤه إلا بالتعاون الخالص ، والخلق المستقيم الصادق وبالعمل الصالح كما ذهب إليه ابن رشد وغيره من فلاسفة الإسلام ، فليس غرض الشارع تلقين العلم ، بل غرضه كما قلنا أخذ الناس بالطاعة وبالأعمال الصالحة

أما المعجزة فهي كل ما خرج عن مقدور البشر عادة ، فلابد للمعجزة من خرق العادة ، ولذلك قالوا « لله خرق العادات » وأما هذه الأمور المجهولة فهي داخلة في مقدور الناس عادة . لأنهم يتوصلون إلى اكتشافها ومعرفتها بالتجريب أو بالبحث والتنقيب أو بغير ذلك من الطرق العلمية

ونحن إذا أردنا أن نعرف معجزة المعجزات فلننظر إلى رسول الله محمد بن عبد الله يتيم مكة وفقيرها كيف قام بالدعوة إلى الاسلام في أيام كان العرب فيها محتربين متعادين متناكرين ، يأكل بعضهم بعضاً كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ، وكيف قاومته العرب حتى عشيرته الأقربون ، وكيف استمر على الدعوة بنفسه الكبيرة وعزمه العظيم الجبار متحملاً في سبيل ذلك من المصائب والمتاعب ما فوق طاقة كل إنسان ، حتى جمع أشتات العرب ووحد كلمتهم ! وأحدث بهم نهضة كبرى ، عربية المبدأ ، عالمية المنحى ، فسارت بهم أعلامهم إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب خافقة بالنصر ومرفرفة بالعدل والإحسان ، وكان كل ذلك في مدة لا تزيد على عشرين سنة بعد وفاته

ولو أن سائحاً في ذلك الزمان الذي لا واسطة فيه أسرع من البعير ، أراد أن يسيح سياحة متفرج لا فاتح في البلاد التي نشروا فيها لواء العدل والتوحيد لما استطاع أن يتم سياحته في أقل من هذه المدة . فهذه معجزة المعجزات التي أظهرها الله على يد محمد ، والتي لم يسبق ولن يكون لها نظير في تاريخ البشر

بغداد ١٩٤٣   **معروف الرصافي**

شعراء مع شعرائهم

عدى بن زيد العبادي

— ١ —

نشأته ... ثقافته ... دخوله فى خدمة كسرى ... سفارته بين كسرى وقيصر ... أبوه زيد وملك الحيرة ... الصلة بين زيد والمنذر أبى النعمان ... إجلال المنذر لعدى، تربية وعدى النعمان الأصغر ... العلاقات بين بنى عدى والنعمان الأصغر .

تزوج حماد بن زيد بن أيوب بن محروف من امرأة من طىء ، فأولدها ولدا أسماه زيدا . وكان حماد هذا كاتبا للملك النعمان الأكبر . وكان له صديق من الدهاقين (١) المرازبة العظماء يقال له « فروخ ماهان » وكان الدهقان محسنا إلى حماد ؛ فلما حضرت حماد الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان ، فضمه الدهقان إليه مع ولده. وكان زيد قد حذق الكتابة العربية قبل أن يضمه الدهقان إليه، ثم علمه الدهقان الفارسية فلقنها ، ثم أشار الدهقان على كسرى أن يجعل زيدا على البريد فى حوائجه ومهامه ، فمكث زيد يتولى ذلك لكسرى زمانا

ثم ان النعمان الأكبر ، وهو والى كسرى على الحيرة ، هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه عليهم حتى يختار كسرى الملك الذى يريد أن يعقد له . فأشار عليهم الدهقان أن يختاروا زيد بن حماد . فكان ملكهم إلى أن عقد كسرى للمنذر بن ماء السماء : المنذر بن النعمان

وقد تزوج زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية ، فولدت له عديا . وولد للدهقان ولد سماه « شاهان مرد » فلما تحرك عدى وأيفع ، طرحه أبوه زيد فى الكتاب ، حتى إذا حذق أرسله الدهقان مع ابنه إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف إليه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمى بالنشاب ، فكان من الأساورة (٢) الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصولجان وغيرهما

وحين ألحق الدهقان ابنه « شاهان مرد » بالخدمة لدى كسرى ، سعى ليلحق عديا بخدمة كسرى أيضا ، ووصفه بأنه « أفصح الناس ، وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله » فرغب كسرى فيه ، وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جوابا ، فأثبته مع ولد الدهقان

وعدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى . وقد كان كسرى يأذن له فى الخاصة ، وكان معجبا به قريبا منه . وكان عدى إذا دخل على المنذر ، والى كسرى على الحيرة ، قام جميع من عنده حتى يقعد عدى ، فعلا له بذلك صيت عظيم ، ورغب إليه أهل الحيرة ورهبوه

وقد سفر عدى لكسرى بعض السفارات ، فأرسله إلى ملك الروم بهدية من أطرف ما عنده ، فلما أتى عدى ملك الروم أكرمه ، وطاف به فى أطراف بلاده ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه . ومن البلاد التى طاف بها بلاد الشام . ويبدو أنه مكث بدمشق زمانا . وقد قال وهو فى الشام يتشوق إلى الحيرة ، ويذكر أيامه فيها ، ويفضلها على دمشق :

رب دار بأسفل الجزع من دو ... مة أشهى إلى من جيرون
وندامى لا يفرحون بما نا ... لوا، ولا يرهبون صرف المنون
قد سقيت الشمول فى دار بشر ... قهوة مزة بماء سخين

ودومة هذه هى دومة الحيرة — وجيرون بناء عند باب دمشق وقام قوم هى دمشق نفسها

ولما كان عدى بدمشق فسد أمر الحيرة ، لأن أهلها أرادوا قتل المنذر ، لأنه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه . ولما علم بذلك المنذر بعث إلى زيد بن حماد ، أبى عدى، وكان قبله على الحيرة كما سبق ، وحدثه فيما بلغه من أنباء تبرم أهل الحيرة به وعزمهم قتله ، فمحضه النصح وأخلص له ، وأرضى أهل الحيرة ، وأصلح بينهم وبين ملكهم المنذر ، وجعل له اسم الملك والغزو والقتال ، وما دون ذلك فهو لزيد . وقد شكر المنذر

١ — الدهاقنة جمع دهقان وهو التاجر فارسى معرب . المرازبة جمع مرزبان وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك

(٢) الأساورة جمع إسوار أو أسوار وهو الفارس السيد الشجاع .

هذه النعمة وأقسم أن يحفظها له

وبعد مدة قدم عدى المدائن على كسرى بهدية قيصر ، فصادف أباه زيدا والدالدهقان المرزبان قد هلكا جميعا ، فاستأذن كسرى فى الإلمام بالحيرة فأذن له ، فتوجه اليها . وبلغ المنذر أن عديا قادم إلى الحيرة . فخرج وتلقاه فى الناس ، ورجع معه

ولثقة المنذر بعدى ، ولما عليه عدى من خلق أعجب به المنذر، ولتطواف عدى فى بلاد كثيرة ، ولخلطته الدانية به وبالكبراء فى ممية وكسرى ، ولمنزلته الرفيعة بين الناس ، ولمعرفته بالفارسية والعربية ، لكل هذا جعل المنذر عديا مربيا ومؤدبا لابنه النعمان الأصغر ، هذا الذى سيكون ملك الحيرة بعد أبيه المنذر ، وهذا الذى ستشتد الخصومة بينه وبين عدى حتى يتنا كرا ، ولا يتعارفا ، إلى آخر الزمان

وقد كان لعدى مكانة عالية ومنزلة رفيعة فى أنفس أهل الحيرة ؛ إذ هو كاتب كسرى ، وهو سفيره إلى قيصر ، وهو ابن زيد ملكهم من قبل ، وهو المكرم لدى المنذر ، ثم هو الرجل العارف بلسان العرب ولسان الفرس والطائف ببلاد الروم — وقد أهل هذا كله عديا ليكون أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم ، ولو أراد ان يملكوه لملكوه ، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك ، وكان يؤثر فراغ البال والارتحال

ولعلك قد علمت بهذا أن عديا قد تربى فى أحضان النعمة ، وأنه لم يكن باديا جافيا ، وأنه قد استنار بما اطلع عليه من أحوال فى ديوانى كسرى وقيصر ، وأنه قد ثقف وتهذب وسمع بكثير من الأخبار والأحداث ، ورأى مالم يره غيره ، وعرف عن الروم كثيرا وعن الفرس أكثر . ولعلك قد عرفت أيضا أنه لم يكن رجلا كالناس ، بل كان أنبل وأعرق من كثير منهم ، وكان له فضل منزلة عندهم . وإن كان عدى قد سمى إلى مثل هذه المنزلة العارفة الكريمة ، فإنه يجب ألا نغفل فضل أبيه عليه ، وتمهيده لهذه المنزلة التى سما إليها ابنه ؛ فقد كان الأب ملكا على الحيرة حتى يعقد كسرى لمن أراد ، وكان مرجع أهلها فيما ينوبهم من حدث وحال ؛ فكأنه كان رجلا نزيها عفا ، يلجأ إليه حين تتحرك الشهوات من عقالها فما يتشهى ولا يسعى لخير نفسه ، ولكنه يسعى لعامة الناس وجدوامم . وهذه خلة تضفى على الرجل كرامة ، وتضفى على من يتصلون به كرامة ، فما بالك لو كان المتصلون به أهلا وأولادا كعدى شاعرنا . ولعلك بهذا قد عرفت العلاقات الوثيقة التى توثق بين بيتى عدى والنعمان الأصغر ؛ فقد تعارف أبواهما من قبل ، وتصادقا ، وتعاونا ، وكاد يكون ملك الحيرة مراوحا بينهما ، وكان أهل البيتين جميعا من المقربين إلى كسرى ، وكان عدى أستاذ النعمان ومربيه ومؤدبه ومقومه — هو وأهل بيته

وهذه منزلة تؤهل الناس لحسد الناس . وهى إن جملت من الأصدقاء كثيرين فهى تجمل من الأعداء الشانئين كثيرين أيضا . ويجب هنا أن نعرف شيئا ، وهو أن أصدقاء الرجل النبيل المخدوم إنما يكونون من العامة وأمثالهم — هؤلاء الذين يرجع عليهم فضله ويهب لهم قواه ، أما الرؤساء أمثاله والسادة أمثاله ، فهم يشنأونه لمنزلته ومكانته وكرامته ، ويسعون جاهدين كائدين حتى يخلو لهم الجو وتمهد السبيل

وقد كان لعدى بن زيد أخوان، أحدهما اسمه عمار ولقبه أبى ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمى . وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدى بن حنظلة من طئ . وقد كان لهؤلاء الإخوة منزلة عند الأكاسرة ، وكان لهم معهم أكل وناحية ، يقطعونهم القطائع ، ويجزلون صلاتهم ، ويقربونهم ويعطفون عليهم

فكأن الأكاسرة قد رعتهم جميعا : رعت حمادا وابنه زيدا وحفيده عديا وإخوته ، ورعت المنذر والنعمان . وكأن الأكاسرة كانوا يستعينون بهم جميعا فى وظائف شتى ، وقد قدم هؤلاء من ناحيتهم ما استطاعوا أن يقدموه لمن رعوهم وأحسنوا إليهم ؛ فلقد كان ملك الحيرة فى بيت النعمان ، ومعروف أن ملك الحيرة كان فى معناه إخضاعا لطائفة من العرب لحكم الفرس . وأما حماد فكان كاتب النعمان الأكبر وكان زيد كاتبا لكسرى زمانا، وملكا على الحيرة زمانا ، ومعينا للمنذر زمانا . وكان عدى كاتبا لكسرى وسفيرا له لدى قيصر ، ومؤدبا ومربيا للنعمان الأصغر

للبحث صلة

محمود عبد العزيز محرم

بين محمد وأصحابه

للأستاذ أحمد الشرباصي

حينما ندرس شخصية محمد صلوات الله عليه من جوانبها المختلفة، نعلم أنه المثل الأعلى الذي يتجلى لكل طامح إلى المفاخر، أو طامع في معالي الأمور؛ وما نريد حين نجلي ملامح هذه العظمة المحمدية أن نضيف إلى صاحبها شرفاً جديداً، فليس بعد تكريم الله تكريم، ولكنها أنفسنا نحن التي نبحث لها عن الخير، ونطلب لها المزيد من التربية والتهذيب. وليس كالقدوة الحسنة في الإغراء على التشبه والمضاء... وما نريد أن نغلو في شأن رسولنا كما غلا سوانا، فإننا لنعلم أولا أن الله أعلى وأكبر، وأن محمدا ابشر، قيل له من قبل: «إنك ميت وإنهم ميتون». وقيل عنه: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزي الله الشاكرين».

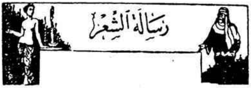
ولو أن هذه العظمة اقتصرت على شخص صاحبها، فلم يستفض نورها هنا وهناك، ولم تلق ظلالها الطيبة على هذا وذاك، لما شغلت التاريخ بهذه الصورة، ولما بقيت لها هذه الروعة الدائمة وذلك البهاء الموصول، ولقال القائل: وما نفع كنز عظيم لا ينال الناس منه خيرا؟ وما قيمة محيط واسع لا يجد الراغبون إليه سبيلا؟... ولكن محمدا هو الذي هتف: «ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط». ولذلك كانت عظمته لغيره قبل أن تكون لنفسه. وكأنما خلق الله رسوله على عينه، وجمع له أطراف المحامد والمكارم، ليظهر فيه سر النبوة وسمو الرسالة، ثم أتاح لصفيه وحبيبه بعد ذلك أن يفيض من هذا النبع الذي لا يغيض، على من حوله ومن يأخذون عنه، والرسول حينئذ لا يستطيع أن يخلق من هؤلاء الأتباع صورا مطابقة كل المطابقة لشخصه وذاته، وإلا لصار هؤلاء الأتباع رسلا مثله؛ فليس له إلا أن يهيء لكل واحد منهم ما يناسبه ويلائمه، فيغترف من حوض الرسول ما استطاع. ومن هنا رأينا العظمة المتجمعة في شخص محمد صلوات الله عليه تتفرق في أشخاص أصحابه، وفي خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بوجه خاص؛ فهذا أبو بكر مثلا يرث عن رسوله نور اليقين والأيمان، ويقوى عنده هـذا النور حتى يسطع فيبهر، فيصفه بالصادق المصدوق قائلا: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي أبكر على إيمان هذه الأمة»!...

وهذا عمر يرث عن رسوله حسن التدبير وعمق التفكير وصواب النظر وأصالة الرأي، حتى ليقول فيه المصطفى: «إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه». وحتى يستطيع عمر إبان خلافته أن يسوس دولة ما ساسها قيصر مصر قبل أو شاه، وأن يجتهد في أمور الدين والدنيا، فيهديه ربه إلى فض مشكلات وحل معضلات ما كان يقتدر عليها لولا أنه تخرج من مدرسة النبوة التي تفيض بالهدى والرشاد...

وهذا عثمان يرث من رسوله رقة الطباع ودماثة الاخلاق وشدة الحياء، حتى يستحي من نفسه وهو منفرد متجرد لاغتساله، وحتى يقول فيه الرسول: «أصدق أمتي حياء عثمان». وإنه ليدخل على الرسول فيستحي الرسول منه، فتسأله عائشة عن سبب ذلك، فيقول: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»؟

وهذا علي يرث عن رسوله زهده وتقشفه، حتى تهون في نظره أعراض الحياة وأغراض العيش ولذائذ الدنيا، فيصرخ في وجه الدنيا قائلا: «يادنيا غري غيري، إلي تعرضت أم إلي تشوقت؟ هيهات، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيهن. آه من طول الطريق، وقلة الزاد ووحشة السفر»

وهناك ناحية أخرى... إن القائد يجب ألا ينفرد بالسلطان والمجد، وألا يستأثر بالرأي يستحوذ عليه، أو الثناء يستبد به. وكم من أناس هيأت لهم الاقدار أن يبلغوا مناصب القيادة والرياسة، فخيل اليهم أنهم قد صاروا في الكون آلهة، وما من إله إلا إله واحد، فلا يقضى أمر إلا بكلمتهم، ولا يوجه مدح إلا الى ذاتهم، ولا يسبح مسبح إلا بحمدهم وشكرانهم، وإن قلوبهم الحاقدة الحاسدة لتتميز من الغيظ وتتقطع من الغل إذا رأوا شخصا غيرهم فعل مكرمة أو استحق تمجيدا، أو بدأ نجمه في الظهور والسطوع. وإنهم ليبذلون كل شيء لكي يقضوا على كل نابغ أو ناهض، ليضمنوا البقاء لأنفسهم، وليرضوا شهوة الأنانية المتعمقة في جذور طباعهم. وأف لزمان تفنى الجماعة فيه ليعيش القائد، وتذل الامة ليعز فرد على أنقاض أبنائها!.



إلى الميدان

أرى الميدان — يا أماه — نحو المجد يدعونى
فلا تبكى إذا أسرعت .. فى كفى سكينى
لأقتل كل صعلوك وأذبح كل ملعون
وأغسل بالدم المسفوح كل جراحي الجون
وألق فى مياه النيل — ذئب الذل والهون
فترفع مصر رايتها .. وترجع عهد مأمون
وتحيا حرة أبدا .. فلا تعنو لمجنون

* * *

أرى الميدان — يا أماه — يزخر فيه إخوانى
فكل فتى سليل النيل منى بعض أركانى
وأمى مصر — يا أماه — من دلتا لسودان
سقتنى من رحيق النيل أعذب من طلى الحان
سقتنى الحب فى مهدى وقالت : لست تنسانى
إذا ألفيتنى يوما أطارد أى ثعبان
لتحطم رأسه المسموم فى صبر وإيمان

* * *

وهاهو ذلك الثعبان فوق قنالها الأسمى
يحرك رأسه الملعون — أخشى ينفث السما
فيقتل مصر — يا أمى — أخاف بقسم الأما

وعلى العكس من ذلك كان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام . لقد بث محمد عظمته فى صحابته ، وشاركهم فيما منحه الله من صفات وبركات ، فحفظ للصغير حقه قبل الكبير ، وشاور قومه فى الجليل والقليل ، وأعطى كلا منهم نصيبه فى التحية والإكرام ، وأظهر تقدير كل عامل ، وأعلن شكران كل فاضل ، وما من مكرمة جرت على يد صحابى إلا فرح لها الرسول ، كأنها جرت على يديه ، وهكذا يكون القائد الرحيب الأفق المتفتح القلب النقى الضمير الطاهر الشعور ...

وها هو ذا يمجد أصحابه عامة فيقول : الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدى ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » . ويقول أيضاً : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

ثم ها هو ذا يمجد أصحابه فرادى ، فيصف كل واحد منهم بوصف له جماله وبهاؤه ، فأبوبكر هوالصديق ، وعمر هوالفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلى باب مدينة العلم ، وابن الزبير حمامة المسجد ، وسعد بن أبى وقاص مجاب الدعوات ، وطلحة بن عبيد الله الشهيد الذى يمشى على الأرض ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة ، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وحنظلة غسيل الملائكة ، وجعفر بن أبى طالب هو الطيار فى الجنة ذو الجناحين ؛ إلى غير ذلك من جميل الصفات ورائع النعوت .

نستفيد من هذا أن الأمة يجب أن تهتدى بهدى قائدها ورائدها ، حتى تتجلى مواهبه فى أفرادها ونواحيها ، فيصبح كل إنسان عظيما فى ناحية أو عدة نواح ، فتكثر الأيدى القوية العاملة ؛ وأن القائد يجب ألا يكون أنانياً يستحوذ على الفضل والخير كله ، بل يقدر العاملين ، ويهيىء فرص النبوغ للنابغين ، حتى تتبارى الكفايات وتظهر العبقريات « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » !

وليس بعد أمة محمد أمة ، لأنها خير أمة أخرجت للناس ، وليس مثل محمد قائد أو زعيم ، لأنه رحمة الله للعاملين ، فلم يبق إلا السير ، فتى يكون ؟ ...

أحمد الشرباصي

ويفعل كل ما يصبو اليه ، ويبغى السهما
أراه . . أراه . . يا أمى . . على ضفاتنا . : يرمى
وها هم نسل فرعون أحاطوا حوله جهما
وفى أجفانهم قلق يكاد يمزق الظلما

* * *

دعينى أقطع الخطوات نحو المجد لهفانا
وفى كفى سكين تصب الموت ألوانا
توشى الأرض من دمهم وتروى منه ظمآنا
فمصر تصيح أنقذنى ، فإن لدى ثعبانا
يسمم عذب أمواهى ، فأدرك كيده الآنا
فماء النيل لا يروى على الأيام كسلانا
وحاشا مصر ، ما ولدت من الأبناء خوانا

* * *

دعينى إننى غاد أشق السهل والوعرا
وأمشى حافيا عريان ، لا أستصعب الحرا
أبيع ثيابى اللاتى تقينى البرد والقرا
وكتب العلم أدفعها لشار يدفع الأجرا
لأحمل بعد سكينا ، وأذهب أقطع القفرا
إلى الميدان أحملها ، وأحمل بينها الذعرا
لأدفع كيد مغتصب ، وأصرع ذلك الشرا

* * *

إذا ما مت فى الميدان لا تبكى ولا تهنى
فبنت النيل ما خلقت لسفح الدمع والشجن
وروحى واسألى الجيران يا أماه عن وطنى
وماذا فيه يفرحنا عن الأعداء من محن
فإن أخبرت ما يسلى فؤاد الميت الحزن
فعودى وانثرى زهرا على المطمور من بدنى
وغنى غنوة التحرير أو أنشودة الزمن

شاعر

ترنيمة الشهيد

للأستاذ كامل أمين أيوب

« إنه الصوت الأخير الذى يردده قلب الشهيد فى لحظاته الأخيرة . . . إنه صوتى عندما أحظى بشرف الاستشهاد بعد أن أقف أمام الأعداء موقف المصرى الجرىء الحر . . »

الآن باسم كرامتى وإبائى   أفنى لتخلد أمتى بفنائى
الآن أثبت للكنانة مجدها   وأخط صفحة عزها بدمائى
الآن أصعد للسماء بجوهرى   فليفرح الأوغاد بالأشلاء
والله ما قتلوا القتيل وإنما   أحيوا عليهم ثورة الأحياء
فليرقبوا نار القلوب تشب فى   نير الطغاة سريعة الإفضاء
وليعلموا أن الكنانة قد أبت   ضيم اللئام وخسة الدخلاء
قد بيتوا الداء العياء لرمينا   فلينظروا فيمن سموم الداء
ما راح منا واحد إلا وقد   ثأرت ظباء لذاهب ولجانى
الموت مفخرة الكرام لدى الوغى   ومن الردى فى الحرب خير رداء
إن مت قبل النصر لست بنادم   فلقد تركت لنيله زملائى
مادام صوت الحق ملء صدورهم   فالله ناصرهم على الأعداء

* * *

أماه لا تبكى على ويا أبى   جفف دموعك وابتهج بقضائى
ما مت وحدى بل مع الأحرار فى   يوم الجهاد وساحة الشهداء
جند بقية إخوتى فلعلهم   يبلون فى الميدان خير بلاء
لابد فى سبل العلا من فدية   لم لا ننال مكانة الفداء
ما مات من عرف الجهاد، ونافق   من حى فى الأغلال دون حياء
يامصر فيك من الأسود كواشر   تمضى لبغيتها بكل مضاء
أسد إذا ما أنشبت أظفارها   ظفرت بكل محالة غدقاء
لا ترهب النيران أو ضوضاءها   وتسير فى النيران والضوضاء
يا مصر أفضى الآن غير مخوف   ما دمت خلفت الأسود ورائى
الله أكبر . . منك كنت وما أنا   إلا صنيعة أرضك الخضراء
واليوم ألقى الموت باسمك فاخلدى   يا مصر . . عالية على الجوزاء

كامل امين أيوب

ذكرى حبيب

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

... ذكريات عترفة بذلك الحب المقدس ، الذى يضيء أرواحنا »
« ذكرى حب بغير أمل .. كما كانت تقول ..!! »

تهب على واديك أنسام حبنا ..
تذكرك العهد الذى كنت ناسيا
تذكرك الماضى ، وقد كان جنة
وشفنا مع اللذات فيها الأمانيا
وتشرق فى دنياك أيامنا التى
تولت وأبقت نارها فى دمائيا

* * *

سمت بك روحى للسماء ، وقادنى
إليك حنينى فى هواك ، وما بيا !
عشقتك روحا خالدا ، وحقيقة
تمالت على وصفى ؛ فأعيت لسانيا
وقدست فيك الحزن ، والحسن ، والهوى
وأحببت منك الحب كأسا ، وساقيا
وخلدتنى روحا ، وإن كنت سائرا
إلى الشاطئ المجهول أفنى بقائيا
وألهمتنى معنى الجمال فسبحت ..
بحسنك أشواقى ، وقلبى ، وذاتيا ..!!

* * *

ذكرتك والليل البهيم معلوف ..
إلى روحك المحبوب حن فؤاديا
ذكرتك والأزهار تبسم للندى
فيشبعها لثما ، ويرتد باكيا ..!!
ذكرتك والأمواج ينساب لحنها
يفسر للشطئان سر عذابيا ..!!
جثوت وأرسلت الدموع سوافحا ..
وغمغمت بالنجوى ، وطال دعائيا ..
تضرعت والأكوان حولى خشع ..
وهزتنى الشكوى ؛ وألقت ردائيا

* * *

أغاريد من ذكراك فى الفجر رفرفت
على الشاطئ المحبوب أحيت رجائيا ..!
تنسمت منها العطر ، والشوق ، والمنى ..
وعدت إلى الماضى ، وكان ورائيا ..!
وهاجت شجونى ؛ فانطلقت مغردا
على غصنك المياد أزجى الأغانيا
وراح نسيم الفجر - والنهر خاشع -
يقبل أزهار الربى ، والروابيا ..!!

* * *

عطفت على روح حزين معذب ..
ورويت قلباً كان قبلك صاديا ..
وفجرت لى نبعا من الشوق دافقا
رشفت به من سلسل الحب صافيا ..!!

* * *

أيا ليتنا كنا مزجنا فلم نعد
حبيبين ذابا لوعة .. وتنائيا
وكنت أنا الجسم الذى يحمل الهوى ..
وكنت حياتى ، ثم كنت فنائيا ..!
ونؤخذ فى ذنب ، وإن كنت جئته
وننعم فى قرب ، وإن كنت عاصيا
بلى ! .. إننى أرضى ، وإن كنت طائعا
أعذب وحدى كى تنعم راضيا
فإن أك قد أخطأت فاغفر خطيئتى
وإلا فأدركنى .. فأنت رجائيا ..!!

محمد فوزى العنتيل

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور زكى مبارك :

... وأخيرا مات زكى مبارك ... مات بعد حياة طويلة بعض الطول ولكنها عريضة كل العرض ، حياة تتلخص فى كلمة واحدة جامعة هى « الصراع » ... كان يصارع فى معترك العيش ، وكان يصارع فى ميدان الأدب ، وقد ظل يصارع حتى نال منه الجهد فى السنوات الأخيرة من حياته الحافلة فأدمته أشواك كان يبدى لها الجلد ، فيضمد جراحه ويحاول أن يمضى فى كفاحه ، ولكن كان يغلبه الترنح الذى أسلمه إلى التفكك . وكان الناس ينظرون إليه فى هذه الحقبة الأخيرة على خلاف فى الرأى والمزاج ، كان بعضهم يأسف لانتهائه قبل وفاته ، وكان قراؤه يلقفون ما يكتب على علاته ويتناولون ثمرات قلمه غير عابئين بما عليها من غبار وما يختلط بها من حشف . وكان أشد ما يجذب القراء إليه ما ظل يشمشع كتابته من روح نابض وظل خفيف .

كان زكى مبارك يمثل فى صراعه الفلاح المصرى أتم تمثيل ، كان فلاحا خارج القرية ، شق بقلمه طريقه إلى الجامعة المصرية وإلى السربون وإلى الصدارة فى عالم الأدب العربى الحديث ، كما يشق الفلاح بفأسه الأرض لاستنباط رزقه . وكان زكى مبارك يحرث حقله فى الأدب ليقيم خطوطه ، والويل لمن يعترض طريقه ، فاذا استوى زرعه وآتى أكله تولى حراسته ووقف بالمرصاد لمن يقترب منه . ولم يفته طبع الفلاح فى الجور على حـــدود جاره وقتاله إذا استدعى الأمر ، ويتجلى هذا فى صياله مع الأدباء ، ذلك الصيال الذى كان يحمل فيه القلم كما يحمل الفلاح « النبوت »

نشأ زكى مبارك فى الأزهر ، ولكنه لم يكن كسائر الأزهريين ، فلم يكن من المقبلين على « علم » الأزهر العاكفين على طرائقه المأثورة ، بل كان من الفئة القليلة التى خرجت من بين تلك الجدران تتلمس الأدب هنا وهناك ، وجده أولا فى الأزهر على يد أستاذه وأستاذ غيره من تلك الفئة القليلة الشيخ سيد المرصفى الذى كان يقرأ لهم كتب الأدب القديمـــة ويدنى كنوزها من قرائحهم وأذواقهم المتطلعة .

ولم يكن زكى مبارك فى الأزهر بالطالب الخامل ، فإن فاته الظهور فى الدراسة الأزهرية المأثورة فلن يفوته مجال الشعر والأدب فكان خطيب المحافل وشاعر الجامع ، وقد خاض غمار الثورة فى فجر النهضة الوطنية وقذف نفسه فى أتونهـــا المستعر وعانى الأهوال فى السجون والمعاقل .

واتجه صوب الجامعة المصرية القديمة فوجد فيها أفقا أرحب وموردا أعذب ، فجال فيها ونهل . وبعزيمة الفلاح وقدرته على التقشف رحل إلى طلب العلم فى باريس ، فقد كان يعيش هناك على النذر اليسير الذى يظفر به أجرا لمقالاته فى بعض الصحف المصرية . ثم عاد إلى مصر بعد أن حصل على درجة « الدكتوراه » فتلقفته الجامعة وضمته إلى أحضانها ، فاشتغل بالتدريس فيها ردحا من الزمن . على أنه كان متشعب الجهود يعمل فى كثير من النواحى ويتنقل بين التـــدريس والصحافة والتأليف أو يجمع بينهما جميعا .

كان زكى مبارك واضح الشخصية متميز السمات فى حياتنا الأدبية ، كان فياضا فى ثقافته وفى كتابته ، حرا فى ابداء رأيه ، عنيفا فى معاركه ، وكان لا ينتظر حتى يثنى عليه غيره ، فيتطوع هو بالثناء على نفسه ، ولعله كان يذهب هذا المذهب لاعتقاده الجحود فى الناس فيعوض بنفسه ما ينقصه منهم . وكان يلطف عنفه ويسوغ استعلاءه روح خفيف ودعابة مستملحة

كان زكى مبارك — من غير شك — علما من أعلام الأدب فى عصرنا هذا ، وقد أكسب الحياة الأدبية أضعاف ما كسب هو إن كان قد كسب شيئا . . . وقد قضى بعد أن ترك للأدب ثروة كبيرة من مؤلفاته ومن آثاره فى عقول تلاميذه وقرائه . وقد كان كثير الترديد لكلمة « الخلود » فيما يكتب ، فإن كان فاته ما أدركه سواه من عرض الدنيا فقد نال ما تمنى به حياته من الخلود .

لغة المجتمع :

ألقى الأستاذ محمود تيمور بك محاضرة موضوعها « لغة المجتمع » في الدورة الحالية لمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، تحدث فيها عن النزاع بين طوائف من اللغويين وجماعات من الكتاب والباحثين حول الألفاظ والعبارات من حيث وقوف الأولين بالقياس عند الحدود التي رسمها أئمة اللغة في العصور الأولى وبالسماع عند العهد الذي اختلط فيه العرب الخلص بغيرهم من الأمم ، واتجاه الآخرين إلى الخروج عن هذا الجمود الذي يسلم اللغة إلى موت محتوم .

وقد فند الأستاذ تيمور بك ما يتمسك به اللغويون المحافظون فقال إن اللغة ظاهرة من ظواهر الحياة وقانون من قوانين المجتمع ، وهذه الظواهر والقوانين تتبدل وتتطور وفقا لما تقضي به ضرورات الاجتماع . والصواب في اللغة مناطه الشيوع ، فمتى ساغت الكلمة في الأفواه فقد ظفرت بحجتها في الاعتداد بها وأصبح لها في الحياة حق معلوم ، وإن غلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه ، بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة خليقة بالتقدير والاعتبار ثم عرض للمثل القائل « خطأ مشهور خير من صواب مهجور » فقال : ما أصدق انطباقه على اللغة لولا أنه يسمي المشهور خطأ ويسمي المهجور صوابا ، فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز والتسمح ، فليت شعري — أي خطأ في لفظ شهر ، وأي صواب في لفظ هجر ؟ سواء على القارىء أو السامع أن تروعه بلفظ عربي نافر لا يجد له في نفسه مدلوله الذي تبغيه منه وأن تفجأه بلفظ أجنبي مغلق ليس بعربي الأصل ، فاللفظان عنده سواء في الابهام .

ولكن على من نعول في توثيق الجديد من الألفاظ ؟ يجيب الأستاذ عن هذا قائلا : لسنا بمستطيعين أن نعول في ذلك على جمهورنا الأمي العام خشية أن تذوب الفصحى في محيط اللهجات العامية التي لا ضابط لها ولا نظام ، ولكنا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص الذي تعلم الفصحى وأشرب ذوقها ، فهذا الجمهور الضارب في كل علم وفن هو مرآة اللغة المجلوة وقوامها الركين ، والويل للغة إن بقيت وقفا على علماء اللغة وفقهائها الذين لا يبيحون لها السير مع الزمن والتجدد مع الأيام . على أن ذلك الجمهور المثقف يتجلى في هذه الفترة من حياة مجتمعنا الحاضر ممتزا بالعربية جانحا إلى الافصاح ، مما يدل على أن هنالك وعيا لغويا قويا يجري تياره بين المثقفين جميعا ويبدو أثره في المرافق الاجتماعية على وجه عام

كشكول الأسبوع

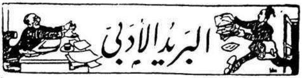
◘ وافق معالي وزير المعارف على مشروع اتفاق ثقافي بين مصر والباكستان ينص على التبادل الثقافي بين البلدين والتعاون على إحياء التراث الفكري ونشر آثاره ، وعلى الوصول بتدريس اللغة العربية في الباكستان إلى مستوى يتيح لأبنائها المشاركة في مجال الإنتاج الفكري العربي ، والعمل على توثيق الروابط بين رجال العلم والأدب والفن والصحافة هنا وهناك بمختلف الوسائل

◘ أصدرت أخيرا دار إحياء الكتب العربية مسرحية جديدة للكاتب القصصي الكبير الأستاذ محمود تيمور بك عنوانها « فداء » ، وتتخذ هذه المسرحية أشخاصها من تاريخ مصر القديمة ، وترمي وقائعها إلى تصوير الجهاد الوطني والصراع بين نزعة الاصلاح والتجديد وبين المحافظة على الأوضاع المتوارثة

◘ وأخرجت تلك الدار أيضا كتابا عنوانه « قصة محمود تيمور » للأستاذ أنور الجندي ، تناول فيه بالدراسة والتحليل شخصية « محمود تيمور » من نواحيها المختلفة وما يلابس ذلك من الاتجاهات الأدبية في مصر

◘ أقيم أخيرا في بودابست عاصمة المجر احتفال أطلق عليه « يوم الكتاب » كان شعاره : الثقافة كالخبز سواء بسواء ، وتدل الإحصاءات المجرية على أنه قد تم نشر ٦٤٠٠ كتاب طبع منها ٦٣ مليون نسخة سنة ١٩٥٠ مع ملاحظة أن عدد السكان تسعة ملايين نسمة

◘ يمثل جامعة فؤاد الأول في العيد الألفي لابن سينا الذي يقام في طهران وفي بغداد ، الأستاذ ابراهيم اللبان ومصطفى عمر بك وعثمان أمين وفؤاد الأهواني



الموسيقى العراقية

في العراق رجال كرسوا حياتهم لخدمة العلم والأدب ، وضحوا في سبيل هذه الخدمات كل رخيص وغال ، فدرسوا وحققوا ودققوا ونشروا ما كتبوه ، وألفوا الرسائل والكتب وطبعوها على نفقتهم الخاصة ، ولكن ويا للأسف لم يجدوا تشجيعا يكفل لهم ولو جزءا قليلا مما يبذلونه بسخاء في هذا السبيل ، وأن من أولئك الأفذاذ الأستاذ المحامي عباس العزاوي الذي أخرج لنا مؤخرا من نتاج عمله المضني المستمر كتابا في الموسيقى العراقية في عهد المغول والتركمان ١٢٥٨هـ ١٥٣٤م تناول فيها التطورات التي طرأت على الموسيقا العراقية خلال هذه القرون الثلاثة ، وما دخل عليها من تغييرات وتبديل . وقد تطرق إلى الموسيقى في العراق والموسيقى العربية قبل الإسلام ، والموسيقى العربية في عهد المغول والتركمان ، ثم تطرق من هذه الرسالة إلى من اشتهر في الموسيقى من نوابغ وترجم لهم وذكر ما صنفوه في هذا الفن من رسائل وكتب ، وذكر الموسيقاريين والمغنين ، وتناول الآلات الموسيقية وأسماءها وأسباب تسميتها ، وما اندرس منها وما بقي حتى الآن ، وفصل المصطلحات الموسيقية سابقا وقارنها في العهد الحاضر ، وختم رسالته هذه بأن نشر للأمة رسائل منها كتاب الملاهي وأسماءها لمؤلفه أبي طالب المفضل بن سلمة النحوي ، اللغوي ، المتوفى سنة ٢٩٠ هـ . والذي تناول فيه إثبات معرفة العرب « للعود » والآلات الموسيقية الأخرى وساق الأدلة القوية والبراهين الثابتة على ذلك . والرسالة الثانية نبذة من اللهو والملاهي لابن خرداذبة المتوفى سنة ٣٠٠ هـ نقلها من تاريخ مروج الذهب المسعودي تناول فيها أيضا إثبات كون العرب تعرف العود وبقية الآلات الموسيقية

والرسالة الثالثة ، أرجوزة الأنغام لبدر الدين محمد بن علي الخطيب الأربلي ، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ وقد نظمها سنة ١٣٢٨ م وفيها ذكر معرفة أصول الأنغام ، والمناسبة بين الأصول والأركان والأخلاط ، وأبحر الأنغام الأصولية الأربعة والأبحر الثمانية المتفرعة من الأصول الأربعة وكيفية ترتيب الأنغام الأثنى عشر ، وذكر الأوزان الستة والشواذ ، والأنغام الزوائد وتأثير الأنغام في الأمزجة من الأخلاق ، وبيان الضروب السبعة

ثم قال الأستاذ المحاضر : إن أهل صناعة الكتابة هم الذين يحملون القسط الأوفر من أعباء التخالف بين لغة الجمهور العام ولغة الجمهور الخاص ومن أثقال التنازع بين الأصيل والدخيل من الكلام ، فالكتابة هي فن الأدب ، والأدب هو أرفع مقامات التعبير في اللغة ، وهو المعرض الجميل لنقاء الألفاظ وجودة الأسلوب . والكاتب إذا عرضت المسميات التي لا يجد لها فصيحا شائعا من الأسماء استشعر الحرج والضيق وتعذر على قلمه أن يجري الكلمات العامية أو الدخيلة في تضاعيف بيانه . وبعد أن أشار إلى الصعوبات التي يلاقيها الكاتب من جراء غلبة الألفاظ الأجنبية والعامية على الشئون العامة وحيرته بين هذه الألفاظ وبين ما تيسر له من الكلمات العربية المهجورة — وقال : لكن الكاتب على أية حال مضطر أن يصف ما في البيت وما في السوق وأن يتناول ما يدور من أسباب العيش ، فهو يبذل جهده ويعالج أمره ، حينا يصطنع الكلمة الفصيحة على حذر ، وآنا يقبل من الكلمات العامية ما ليس منه بد ، وساعة يتخذ له اصطلاحا يرشحه للاستعمال

ثم عرض لما صنعه المجمع في ذلك من أوضاع وما وضعه من أسماء عربية لمسميات في الشئون العامة وما قوبلت به من سخرية الأقوام والأقلام قائلا بأن مهمة المجمع تقتضيه أن يمضي في طريقه ، والحكم الأول والأخير في ذلك هو الجمهور المثقف فما يرتضيه يكتب له الشيوع والبقاء وما لا يستسيغه يسحب عليه ذيل العفاء

عباس خضر

ووجوب مراعاتها

والحاصل أن الأستاذ المزاوى — وفقه الله — قد قام بهذه الخدمة الجليلة للأمة العربية ، اضافة إلى خدماته الكثيرة التى سبقت له فى التحقيق والتنقيب والتأليف والنشر ، وسنفرد لترجمة الأستاذ المزاوى بحثا مستفيضا نقدمه للقراء فى فرصة أخرى

ابراهيم الواعظ

الى المعقبين :

لعل من أخص ما تمتاز به « الرسالة » على زميلاتها الأخريات وأوضح مظاهر قوتها هو هذه الكتيبة المسلحة الرعبة المؤلفة من حضرات المعقبين على شتى مذاهبهم وألوانهم ، وإن إعجابى بهذه الكتيبة المسلحة المتيقظة لبالغ حد التعصب لها ؛ ولكن هذا الإعجاب لا يمنعنى من التصريح بما يدور فى خاطرى وما يتردد فى ذهنى من حين إلى آخر بشأنها . فمثلا الاحظ أن بعض حضراتهم يجهد نفسه فى تحقيق بعض كلمات لغوية قد شاعت وأصبح إحلال الكلمة القياسية محلها عسير الهضم على أفكار الأدباء والكتاب ، لأن الكلمة قد أخذت مدلولها بين المتكلمين بيد أن تصحيحها لا يضفى عليها معنى جديدا أو زيادة مستحدثة ، ولأن عملهم هذا إن دل على شئ فإنما يدل على أنهم لا يقرؤن للفهم والاستفادة بل للبحث عن هفوة لغوية أو سقطة نحوية وبذلك يضيعون على أنفسهم — كما قال الأستاذ عبد الحميد جودة السحار — زبدة البحث وعصارة المقال . ومما يدل على صحة هذه النتيجة أنهم إنما يقرؤون لا لوجه الكاتب أو الشاعر بل للقنص والصيد ، أن بعض التراكيب قد يكتبها الكاتب لتؤدى معنى بعينه فإذا بها تؤدى عكس الذى قصده الكاتب ثم تمر على أفهامهم فلا تحرك لهم ذهنا أو تثير لهم خاطرا ؛ فمثلا جاء فى مقال للدكتور محمد يوسف موسى فى عدد الرسالة الممتاز — وكنت أنتظر أن يعقب على ما كتبه أحد منهم فلم يحصل — .. وقد ختم الله رسالاته ورسله ولكنه ترك لنا بعد هذا ما إن تركناه لن نضل وهو القرآن العظيم .. ولكى يكون المعنى الذى قصده الدكتور مستقيما يجب أن يقال ولكنه ترك لنا بعد هذا ما إن تمسكنا به لن نضل » ولكن هذا ذهب فى غمار فسح وأفسح ومهيب ومهاب . بقى شئ آخر أحب أن ألفت نظر حضرات المعقبين إليه ألا وهو أدب الخطاب فى التعقيب ، فقد قرأت فى العدد ٩٦٤ تعقيبا للأستاذ الأبشيهى ختمه بقوله .. فإن كان قد ألقى الحديث على عواهنه فقد علم القاعدة منذ اليوم » فهل فى هذه الجملة ما يشعر بالاحترام ؟ وإلا فأى كاتب هذا الذى يلقى الحديث على عواهنه ؟ وقرأت فى العدد ٩٦٧ تصحيحا لبعض الآيات بصدد الاستشهاد بها فى مقالة للأستاذ السوافيرى .. ولا أدرى أكان الأستاذ حافظا فخانته ملكته أم مستشهدا بآيات سمعها عفوا فذكرها محرفة الخ » إن دل هذا على شئ فإنما يدل على تحامل لا موجب له وتعصب لا خير منه . والأعجب من هذا أن حضرة الحافظ المتثبت جاء ليصحح فأخطأ ؛ فليست الآية « محمد رسول الله والذين آمنوا معه » من سورة « محمد » بل هى من سورة « الفتح » فتح الله علينا وهدانا سواء السبيل

هارون المنيفى

تصويب أخطاء

جاء فى مقال « دعوة محمد » بالعدد ٩٦٧ من الرسالة ، بعض الأخطاء نتيجة لتحريف بعض الحروف أو لسقوط بعض الكلمات فرأيت أن أصحح الخطأ ليستقيم المعنى

فقد جاء فى ص ٥١ س ٣ من العمود الأول (فهناك شبه غريب) والصواب (فهناك شبه قريب)

وجاء فى ص ٥٤ س ٦ من العمود الثانى (فقد شار كوهم مرارة الحد) والصواب (مرارة الجد)

وجاء فى ص ٥٣ س ٢٥ من العمود الأول (وأرى أنك تخصها بالحب أكثر) والصواب (وأرى أنك تخصنى بالحب



الصقر

للقصصي الايطالي بوكاشيو

كان بفلورنسا شاب من النبلاء الأغنياء يدعى فريديريك البيريني من أسرة عريقة في المجد ، قد هذبه الفن والطبيعة وجملا منه فتى كاملا كيسا لا نظير له بين أبناء النبلاء التوسكانيين . وقد وقع في حبائل الحب كما جرت العادة بين أترابه ممن هم في صفه من السراة ، فهام بسيدة من الأعيان تدعى جان كانت تمتير من أجمل وأحب نساء فلورنسا، ولم يدع وسيلة لاستمالتها إلا نفذها، من ولائم فاخرة، وألعاب فروسية باهرة ، وهدايا عظيمة . كانت هذه السيدة متمسكة بالتقوى والفضيلة ولم تحفل كثيرا بهذه النفقات الجنونية ، ولكنها لم تحتقر قط هذا الشاب الظريف . ولم يتطرق اليأس ولا الملل إلى فريديريك واستمر في طريقه وإسرافه حتى أضاع ثروته ولم يبق لديه إلا شيء قليل يعيش به في حالة بؤس لم يدخر من ماضيه الفخم غير بازي مدرب على الصيد. ولقد أصبح أشد تعلقا بحبيبته رغم فقره المدقع الذي أوقعه فيه ، ورأى أنه لا يستطيع أن يعيش عيشة تليق به في المدينة ، فصمم على الاعتكاف في البقية الصغيرة الباقية من أملاكه في الريف ، فكان يصطاد في أغلب الأحيان بصقره ليسرى عن همومه وليكفيه مؤونة السؤال . واستمر على ذلك الحال ردحا من الزمن مرض في أثنائه زوج حبيبته ثم مات ، وقد أوصى بثروته العظيمة إلى الصغير ، وبموته دون أن يعقب ينتقل الميراث إلى أمه التي كان يحبها زوجها حبا يقرب من العبادة

أقبل الصيف فذهبت الأرملة كعادتها لتصطاف في أملاكها في الريف وكان بيتها قريبا من بيت فريديريك . وبمناسبة هذا الجوار تعرف ابنها بفريديريك وكان يتردد عليه ويلهو بكلاب صيده وطيوره ، وشاهد البازي الذي تحدث الناس عن مهارته فقتن به ، ولم يستطع أن يطلبه منه لأنه كان يعرف شدة تعلق فريديريك به . ولما علم أنه يستحيل عليه أن يحوزه ساوره الهم والقلق حتى مرض ، ثم عرف والدته بسبب مصابه قائلا : « أماه ، لو كنت تتمكنين من الحصول على بازي فريديريك لعاجلني الشفاء وعاودتني الصحة »و صمتت الأم هنيهة وسبحت في أحلامها وتأملاتها ؛ فماذا تعمل مع من أحبها طويلا وبدد ثروته لاسعادها وهناءتها، فكانت تقابل منه هذا العطف بالفتور؟ وكيف تستطيع أن تطلب منه أعز شيء لديه وما به يعيش ويحصل على قوته من الصيد به، وهل يحسن أن تحرم نبيلا من أنفس شيء

أكثر مما كنت تخصها)

وجاء في ص ٥٤ س ٤ من العمود الأول (وتهدده الخلوف) والصواب (وتهدده الحتوف)

وجاء في ص ٥٤ س ١٩ من العمود الأول (امتشق الحسام الذي يزيل ...) والصواب (امتشق الحسام ليفل به عوابس الخطوب ويزيل بحده)

وجاء في ص ٥٤ س ٣ من العمود الثاني (بينه وبينهم المهند) والصواب (بينه وبينهم الحسام المهند والوشيج المقوم)

وجاء في نفس الصفحة ونفس العمود س ٥ (حتى تلين قناتهم عزين) والصواب (حتى تلين قناتهم ويأتوا صاغرين)

كما جاء في نفس الصفحة ونفس العمود س ٣١ (وحسب هؤلاء الطافين) والصوات (وحسب هؤلاء الطاعنين)

هذه هي الكلمات التي رأيت أن أردها إلى صوابها وإن كان هناك شيء فإنه لا يخفى على فطنة القارىء الكريم والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الموجود عبد الحافظ

لديه ؟ احتارت في أمرها ولم تدر ماذا تجيب ابنهـا والتزمت الصمت ، ولكن الطفل ما فتئ مهموما ملحا في طلبه ، وفي نهاية الأمر تغلب الحب البنوي على كل اعتبـار وعزمت على إرضـاء ولدها بأي ثمن كان وصممت أن تمرفه بأنه سـينال البـازي ويستذهب في لليه، قالت له : « لا تحزن يابني وفكر في شفائك وصحتك ، وأول شيء سـأعمله في الصباح هو الذهاب لإحضار الصقر . فسر الولد لهذا الوعد وتحسنت صحته في المساء

وفي الصباح ذهبت أمه هي وإحدى السيدات إلى فريدريك، ولما دخلت وجدته في الحديقة ينظمها لأن هذا اليوم لم يكن مناسبا للصيد بالبازي، وقالت للخادم أن يعلمه بمجيئها لتحدثه في شأن من الشئون . تصور أيهـــا القارئ دهش فريدريك ومفاجأته بهذا الخبر السار ، فطار من الفرح عدوا لاستقبالها ، وسلم عليها بكل احترام من بعيد ، فتقدمت إليه مدام جان وحيته بكل لطف وأدب . وبعد تبادل التحية قالت له : « لقد أقبلت ياسيد فريدريك لأكافئك على العناية التي بذلتها حينما أحببتني حبا يزيد على المعقول ، والمكافأة هي حضوري أنا والسـيدة لنتناول الغداء معك» فأجابها بكل لطف وتواضع «إنني لم أخسر شيئا قط لأجلك ، بل بالعكس فإنك أعددتني لكثير من المزايا . ولئن عرفت بشيء منها فالفضل راجع إلى العواطف التي نفحتني بها . وهذه المكرمة التي تفحتنيها اليوم لجليلة جداً، وقد أثلجت صدري وشرحت فؤادي . ومع إنني فقير فإنني لا أريد أن أبيع هذه المنة بثروتي التي فقدتها » وبعد هذه المجاملة اللطيفة صحبها إلى الحديقة وترك بصحبتها الإستانية وصاحبتها التي أقبلت معها ، وذهب ليهيئ الطعام . وهذا النبيل الشريف لم يشعر في حياته بقسوة وطأة الفقر مثل ما شعر بها في هذا اليوم الذي أقبلت فيه أعز الناس لديه ، وكان يوده أن يهيئ لها وليمة فاخرة . فما باله إذا لم يجد شيئا لديه في هذه اللحظة الحرجة ؟ فاستشاط غضبا ولعن ثروته الضائعة وأخذ يهرول في أنحاء البيت . والأدهى أنه لم يكن عنده درهم ولا شيء يقوم بقيمة حتى يرهنه . ولما اقتربت ساعة الغداء حار في أمره فوقع نظره بغتة على البازي الذي كان مطمئنا في قفصه فصمم على تضحيته ليقدم شيئا مناسبا للأثيم التي شرفته بزيارته . ثم لوى عنقه ونتف ريشه ثم وضعه في النار ولما نضج الطعام ذهب إلى الحديقة ليدعو السيدة وصاحبتها للطعام ؛ وبعد انتهاء الغداء دار حديث لطيف ثم رأت مدام جان أن تطلع فريدريك على سر زيارتها قائلة : « أتذكر أيها السيد كل ما صنعته من صنوف العناية وحياني الشديد الذي جعلك تظن أنني متوحشة . ولا شك في أنك تدهش حينما تعلم السبب الحقيقي الذي قادني إليك ، ولو كان لك أولاد لكنت تعرف قوة الحنو الأمي ، وإني واثقة أنك ستعذرني ، ولكنك لا أولاد لك ، ولي ولد واحد، ولا أستطيع أن أهرب من القوانين العامة للأمهات . وهذا الذي يضطرني أن أتعدى المعقول وأخالف إرادتي وأطلب منك شيئا أعلم أنك تعزه كثيرا ، لأنه أصبح لك العزاء الوحيد لضياع ثروتك ، وما هو إلا بازيك الذي أطلبه . إن ابني مريض وهو تواق للحصول على الصقر وأخشى إن لم أحضره له أن يقتله الحزن ؛ ولذلك أتوسل إليك لا بحق الصداقة فلست مدينا لي فيها بشيء ، بل أتوسل إليك بطيبة قلبك وحبك للخير العام الذي لم يكذب فيه الظن قط ، والذي يميزك عن جميع الناس . وسيكون لك ابني مدينا بصحته وربما بحياته ، وستتملك بهذا الصنيع قلبه وقلبي مدى الحياة »

ولما رأى فريدريك أنه لا يستطيع إرضاء هذه السيدة لأنه أطعمها ما تطلبه خنقته العبرات قبل أن يفوه برد ، فظنت السيدة أنه يبكي حزنا على فقد بازيه وكادت تغير رأيها فيه وفضلت أن تسكت إلى أن يجيب فقال لها : « إنني منذ فتنت للمرة الأولى بمحاسنك تيقنت أن الثروة كانت تساوئني في كثير من الأمور ، وكنت أشكو من شدة ما تفرضه علي ، ولكن كل ما مر علي من بؤس وآلام لم يك شيئا بجانب بلية اليوم ، وستترك في قرارة نفسي مرارة لا تفارقني . هل تستطيع المصائب أن تسدد إلى طعنة أفظع من صدمة اليوم حينما أرى أنك تفضلت بزيارتي في هذا

البيت الحقير مع أنك لم تتنازلي بزيارتي حينما كنت غنيا ثم تطلبين مني شيئا لا أستطيع أن أحضره لك . ما أقساك أيها الحظ العاثر الذي ما فتئ يضطهدني ! لقد تحملت بصبر جميل أصناف الرزايا والمحن، ولكنني رزحت تحت هذه الصدمة إذ ليس عندي الآن بازي ، وبمجرد ما شرفتني وأظهرت رغبتك في تشريفي بالغداء معي فكرت أن أحضر غداء أرقى مما اعتاده الناس فذبحت الصقر دون تردد لمهارته العظيمة في الصيد ؛ ومن سوء حظي لم أوفق لأن أقدمه إليك حيا . وبعد هذا الحديث رأى أن يقنعها بأن أحضر الرأس والريش والمخالب

دهشت مدام جان ولامته لوما شديدا لذبحه صقرا ثمينا ولكنها ارتاحت لهذا المثال العظيم في الكرم الحاتمي الذي لم يؤثر فيه الفقر والبؤس وقالت له : « إنني لا أنسى مدى حياتي هذه التضحية مهما كان تصرف الآلهة في ولدي » . ثم استأذنت من فريديريك وانصرفت شاكرة له شرفه وحسن نواياه ، وذهبت إلى ابنها حيرى حزينة لا تدري بماذا تجيبه ، وقد اشتدت وطأة المرض عليه ومات بعد بضعة أيام وهي لا تدري إن كان الموت نشأ من شدة حزنه على البازي أو كان المرض بطبيعته قاتلا

وقد آلمها مرض ابنها ووفاته وطفقت تبكيه عدة أيام . ثم توسل إليها إخوتها أن تتزوج لأنها فتية وغنية جدا. فلم تجد عندها رغبة في الزواج ، ولكن أقاربها وأصدقاءها طفقوا يلحون عليها ويحثونها ، فعاودتها الذكرى وفكرت في مكارم أخلاق فريديريك من شرف وثبات وكرم ، وكيف قدم لها صقرا ثمينا للغداء . ثم قالت لأقاربها : إني أستطيع أن أبقى أيما سعيدة إن كان هذا يرضيكم ، ولكن احتراما لرغبتكم لا أقبل زوجا غير فريديريك البيربي . فصاح إخوتها بلهجة التهكم . « هل أنت جادة في قولك ؟ إننا لا نستطيع أن نتصور ذلك . هل تجهلين أن هذا النبيل أصبح في فقر مدقع ؟ »

— إنني أعلم ذلك ولكني أفضل رجلا محتاجا إلى المال على ثروة محتاجة إلى رجل . ولما رأى إخوتها أنها مصممة ألا تتزوج غير فريديريك وأنهم لا يستطيعون أن يغالطوا أنفسهم أنه شريف كيس صادقوا على زواجهما ، أقاموا عرسا في منتهى الفخامة

لقد صير البؤس الزوج الجديد حكيما بصيرا بعواقب الأمور فأصبح مقتصدا يدير شؤون الثروة الحديثة بحكمة وفطنة وعاش مع زوجته التي أحبها عيشة سعيدة هنيئة متمتعا بعطفها وحنانها

م . ح

مطبعة الرسالة